

فلسطين
للمغرب

الجبار

956.9
J42ftA
C.1

فَلَسْطِينُ لِلْعَرَبِ



تأليف

عبدالغفار بخيار

لبنان ١٩٤٧

١٣٦٦ - م ١٩٤٧

١١٠ ص



طبع بدار الكتب العربي، بيروت

شارع فاروق — تليفون : ٥٠٩٣٨



الافتاء

مولدی صاحب الجدلة اطلقت فارونه الاوّل

آياتكم السامية يا مولاي :

« وأبعت بقيني الى فلسطين العربية ، التي تفوت منا بالعطف والتأييد في
نفالها ، هي يعود اذوه الى نصايره ويأخذ العدل مجاهده ». سرت في العالم
العربي ببرهادا وهمية ، ذاتكم — يا مامي العربية — فلسطين للعرب .



مَكْتَبَةُ
لِسَانِ الْعَرَبِ

www.lisanarb.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلوة والسلام على صاحب الإسراء ، وعلى إخوانه
الأنبياء ، وآله وأصحابه الأصفياء ، وأتباعه المجاهدين الشهداء ، وبعد :
فإن مشكلة فلسطين لم يرو لها التاريخ مثيلا ، إذ حاولت الصهيونية
مستحيلا وقامت بدعائيات في العالم الغربي تضليلًا : « إن إبراهيم كان
لربه خليلا ، وقد وعده الله أن تكون فلسطين لسله جيلا بجلا ،
ونحن شعب مطهد فأعينونا بقوة ، لننشيء في فلسطين دولة ، تجمع
اللاجئين وتكون لكم في الشرق بنا صولة ، وقد وعدنا على لسان الأنبياء
بعوده وجولة ، وقام الغرب على الشرق بحملة ، فلماذا لا نشاركم في
استعمار أرض القبلة ؟ ويعود إسرائيل يأخذ من فلسطين المثار والغلة ،
ثم يمتد إلى حدود مصر ودجلة ، وقد بذلنا لكم الذهب الثمين بكثرة
لا بقلة ، وكنا لكم على الجرمان في الحرفيين طابورا خامساً وعلمة ، وقد
وعدنا بلفور كأهل ملة !!! »

وعلماء الأجناس يقررون أن اليهود اليوم لا يمدون لإبراهيم بأى
نسب ، إنما هم أبناء الأقطار التي هم فيها بالتنازل والعصب ، وفلسطين
منذ بفر التاريخ للعروبة والعرب . والعودة التي وعدهم بها الأنبياء قد
تحققت من بابل منذ حقب ، وتم ظهور مسيح الحكمة والأدب ،
لامسيح الإرهاب والفتنة والذهب ، وإن كنتم في الأقطار التي تنسبون
إليها مثال الشغب ، فما ذنب فلسطين يصيبيها من أجلكم هذا العطب ،

وبالغور لم يكن لفلسطين مالك أو أب ، فليعطيكم في بلاده هذا الطلب ، وتريد الصهيونية أن تجعل دول الاستعمار حكما بالإغراء والخطب ، ولكن العروبة تدرك أن الجهاد هو العصب والسيف أصدق أنباء من الكتب .

يستغلون الحكومات الغربية في الانتخابات والخروب والأهوال ويدلسون على الشعوب المسيحية بالمسكنة والأقوال ، والحكومات تتم إلىهم أيديهم طمعاً في النوال ، والشعوب تزيد التخلص منهم بالانتقال ، وهؤلاء وأولئك يخلقون لتلك الأرض المقدسة الإضطراب والإشكال وينسون أن هذه ستكون موطن الداء العضال ، للغرب والشرق والسلم بغير جدال ، والعربى حر أب لا يدين بغير الاستقلال ، ولا يرضى أن يفرط فى شبر من أرضه هذا محال وأى محال ، وسيشهد العالم أجمع حرثاً مقدسة ليس لها من مثال ، يتأهب لها الشرق والعالم العربى منذ أجيال ، ويرمى بالثير الأجنبى ويستأصل المستعمر كل الاستئصال ، فيما هيئته الأمم تيقظى فقد ضربنا لكم الأمثال ، وهذه المشكلة الظالمة إن لم يكن للحق فيها مقال ، فسترى العروبة قد حلت معضلتها بجيوش ثقال ، ويومها تقى الصهيونية والاستعمار وقد أقسمتم من قبل ما لكم من زوال .

والتاريخ يحذثنا أن السبب في تشتت اليهود كان تمسكهم بالدولة ، والله لا يريد لها لهم أبداً لأنهم يرهون بصلة ، ويكونون مثاراً للشعب أفراداً وجملة ، ولو لا أن كتب الله عليهم الجولة ، لكانوا أكثر وباء وعلة ، وسترى في تاريخهم مما أحذنك عجباً ، فالإباحية والإرهاب والجشع كانت لتشريدهم سبباً .

وها هم اليوم لم تكدر تتجمع منهم قلة بفلسطين ، حتى ضج العالم من فظائع الإرهابيين ، وقد تحسّبهم جميعاً وهم في الحصون ، ولكن قلوبهم شتى طوال القرون ، يجتمعون الجشع ويفرقهم بخون ، لأنهم لعجل الذهب مازوا يعبدون ، وقد قال لهم السيد المسيح كيف بين الله والمال تجتمعون ، وترى الدول الكبرى لما صارت ذرعاً بالإرهابيين ، جأت إلى الوكالة اليهودية لعلمهم إليها يسمعون ، كلا فالإرهاب سحيقهم وهو فيهم الداء الدفين ، وهم اليوم خليط كالوقود في الأتون ، فإن لم يجدوا حطبًا كانوا هم الحرثين وغداً يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ، والعروبة ستري العالم ماذا يكون .

وهذا كتاب لم أكتبه للعالم الإسلامي خسب ، بل كتبته للعالم أجمع من كان له قلب ، كتبته للنصارى ليدركون الخطاب ، ولليهود ليلعلوا أن الصهيونية لهم كرب ، وهيئة الأمم لتعلم أن في فلسطين شرارة الحرب وكتبته للقسوس ليفهموا يوحنا اللاهوتي في رؤياه ، وأنه أشار إلى الصهيونية بالتين الفاتح فاه ، وكتبته لعقلاء اليهود ليلعلوا أن المسيح عيسى بن مریم قد جاء بآيات الله ، فلماذا يتذمرون مسيحاً سواه ، ولذا جعلت عمدى في كتابي من يقدسو نه من الرواوة .
وكتبته للمسلمين ليعملوا بماذا يختتمون الصلاة .

وأن فتنة الدجال هي الصهيونية ليطاردوها بغیر أناة . بفاهدوا ياقوم لتناول الحياة ، وابذلوا أموالكم في سبيل الله — وأنقذوا أرضكم من العدالة ، وكونوا الأساطيل وطاردوهم في المياه ، وكونوا الشركات ودرسو المخترعات ليظل لكم الجاه ، وأعدوا ما استطعن من قوة فقد

كتب الله لكم النجاة ، وقد تنبأ لكم منذ أربعة عشر قرناً رسول الله
« لتقاتلن اليهود ، فلتقتلهم حتى يقول الحجر : يا مسلم هذا يهودي
خلفي ، تعال فاقتله »^(١) ويومئذ ترثلون قول الله .

« هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ
لَا وَلِلْحَسْنِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنَنُوا أَنَّهُمْ مَا نَعْتَهُمْ حُصُونُهُمْ
مِّنَ اللَّهِ فَأَنَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدْ فَرَقَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَةُ
يُخْرِجُونَ بِإِيمَانِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَرُوا يَا أُولَى الْأَبْصَارِ »
(سورة الحشر)

عبد العفار الجبار

إبراهيم الخليل

أفضل نعمة على الإنسانية، تشرع الله في الأديان الكتابية واليهودية
دين من تلك الأديان السماوية . أما الصمبونية فأسطورة خرافية .
نسجت من الخيال أوهامها ورفقت بالاذديب سرها ، وأسألت
التاريخ بأفعالها ، ثم صار الاستعمار أفعى لها . فتباله وتباها !!
رعموا أن فلسطين وطنهم ، لأن إبراهيم كان أبو لهم والتاريخ كان
عليهم لام : ألم يسودوا صفحاتهم ويغضبوا العالم بفسادهم ، ويقتلوا
الأنبياء بظلمهم حتى شتتوا إلى الأبد ياراهم ، والنبوة لا تعرف لها
أبناء إلا البررة دون الفجرة ، وال المسلمين غير الإرهابيين وفي سفر التكوانين
« وإبراهيم يكون أمة كبيرة وقوية وتنبارك به جميع أمم الأرض لكي
يوصي بنيه من بعده أن يحفظوا طريق الله ليعملوا براً وعدلاً لكي يأتي
الله لإبراهيم بما تكلم به ص ١٨ .

وفي القرآن الكريم « وَإِذْ أَبْتَلَ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَهْنَ قال :
إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنالَ عَهْدِ الظَّالِمِينَ »
١٢٤ سورة البقرة .

على أنهم ليسوا أبناء إبراهيم وحدهم كايزعمون ، بل المسيح وأتباعه
إسرائيل الجديد ولو يكذبون ، والعرب سلاله إسماعيل بكر إبراهيم الوارث
كايشرون وفي سفر التثنية الذى منه يقمنون : إذا كان لرجل امرأتان
إحداهما محبوبة والأخرى مكرهه ، فولدت له بنتين المحبوبة والمكرهه .

فإن كان ابن البكر المكرورة فيوم يقسم لبنيه ما كان له لا يحيل له أن يقدم ابن المحبوبة بكرًا على ابن المكرورة البكر ، بل يعرف ابن المكرورة بكرًا ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده لأنّه هو أول قدرته له حق الـ**البـكـورـيـة** ، ص ٢١.

وإبراهيم كان ذا دعوة عالمية ، فانتقل بها من العراق إلى الشام إلى الأقطار الحجازية ، واليهود انكمشوا على أنفسهم بعصبية ، ولم يكونوا إلا أعداء البشرية ، ومنعوا عن الله من أراد الدخول في الخزيرية القدسية ، حسداً وغزوراً وأنانية ، وجاء الإسلام يدعو العالم إلى الأخوة والنور والإنسانية ، فتبارك به جميع الكرة الأرضية ، وكان الإسلام هو إبراهيم دين الوحدة والوحدة ، يوصل الناس إلى ربهم من غير فروق جنسية .

والعرب من أقدم الأمم حضارة ومدنية ، وما دولة حمورابي بالعراق إلا عربية^(١) ، وفيها كانوا أسبق الأمم إلى وضع القوانين التشريعية ، ومن بينهم هاجر إبراهيم بلغتهم القومية . فكان من الميسور عليه أن يطوف بأنحاء الجزيرة العربية ويرحل إلى مصر فيجد الأعراب قد ملكوها ، ثم يعود إلى قلب الجزيرة فيبني الكعبة ويدعو الناس ليقدسوها ، وكأنه يضع الحجر الأساسي لسيادة عروبة قد ورثوها .

ويقول جورج زيدان : « أما مصر فقد نزع الساميون إليها من الشرق ، ولذلك ما برح المصريون منذ القدم يسمون بلاد العرب

(١) ص ٥١ تاريخ العرب قبل الإسلام .

الأرض المقدسة أو أرض الآلهة ، وكانوا يسمون أهل البادية من الساميين (شاسو) أي البدو وهم العرب أو العربي عند البابليين والمعنى واحد فهو لاء البدو أو الرعاة كانوا ينتقلون في شرق وادي النيل حتى ستحت لهم فرصة وثبتوا فيها على مصر وملوكها ويؤيد ذلك يوسيفوس المؤرخ الإسرائيلي وما تشنون المؤرخ الإسكندرى وفي أيامهم جاء إبراهيم من دولة حمورابي العربية إلى مصر وكان يحكمها العرب ، كما جاء يوسف أيضا وإن خوته^(١) .

فإبراهيم كان من الأرومة العربية ، وكانت ديانته سمعة عالمية غير شعوبية ، ولم يعرف هذه العقدات من التقاليد اليهودية : «ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصراينا» .

فأحق الناس بإبراهيم الخليل ، أبناء ابنه البكر اسماعيل وما دين الإسلام إلا ملته ، وما العروبة إلا أنه وأمته وما العالمية إلا آماله وأمنيته ، وفي العرب تحققت وعده وبغيته قال الكونت هنري دي كاستري : «إن الإسلام خرج من ذرية إسماعيل وسرى في الأرض كما خرجت المسيحية من ذرية إسحاق ، ونحن نعلم أن الله قال لإبراهيم عن إسماعيل إنه سيبارك فيه ويكثر نسله كثيرا وكرر له ذلك بقوله إنه تخرج من صلبه أمة كبرى لكونه نسلك وأعاد هذه البشرى مرة ثالثة لواده ذلك الطفل الذى نجى فى الصحراء وقصة ظهور الملك إلى هاجر من أجمل الروايات ولطف الأم على ولدتها من ألطاف ما يقال «ولما فرغ

(١) ص ٩٦ العرب قبل الإسلام .

اما من القرية . رفعت صوتها وبكت فسمع الله صوت الغلام ونادى ملاك الله هاجر من السماء ، وقال لها : لا تخافي لأن الله قد سمع صوت الغلام حيث هو قومي أحلى الغلام وشدي يدك به لأنني سأجعله أمة عظيمة وفتح الله عينها فأبصرت بئر ماء^(١) .

ثم يقول الكونت هنري : ولقد ارتعشت يدي عند ما مددتها لازيل الغطاء عن الكتاب المقدس كي أنقل الآيات التي سطرتها ولو لا ماقاله الأب بروغلي من أن تقدم الإسلام أمر مندرج تحت ما بشر به أبو المؤمنين لما تحرأت أن أطبق تلك الآيات على الإسلام ولا ذهبت أن في انتشار هذا الدين سرا من الأسرار الربانية^(٢) .

ويهود اليوم ليس لهم ياهيراهيم أي اتصال . فقد شردوا من عهد الرومان ذات العيون وذات الشمال ، واختلط دمهم بالشعوب على مر الأجيال ، ودخل بينهم ألوان من الأجناس وأشكال ، ويقول بتار أستاذ علم الأجناس في جامعة جنيفا ، « إن جميع اليهود بعيدون كل البعد عن الاتمام إلى الجنس اليهودي القديم . إن اليهودية عبارة عن طائفة دينية ، انضم إليهم في جميع العصور أشخاص من شتى الأجناس ، وهؤلاء المتهودون جاءوا من جميع الآفاق ، ومن العسير أن تتصور أن اليهود ذوى الشعر الأشقر الذين نلقاهم كثيرا في أوروبا الوسطى يمتون بصلة القرابة — قرابة الدم — إلى أولئك الإسرائيelin القدماء الذين كانوا يعيشون بجوار نهر الأردن » .

(١) سفر التكوين من ٤١

(٢) من ٩٣ الإسلام خواطر وسوانح

وبعد أن يذكّر الأستاذ بتار أن عدد اليهود في العالم لا يقل عن اثني عشر مليونا يتساءل . أيمكن أن يكون هذا العدد المائل قد تولد مع الاضطهاد والمذابح من أولئك الحسين ألفا الذين شردوا في عصر أريانوس ، ثم يرد : « إن هنالك مجموعات كاملة قد تهودت وأضافت جوّعها الضخمة وصفاتها الجسدية إلى الفريق الإسرائيلي » .

فلسطين والتاريخ

فلسطين قطعة من الجزيرة العربية . لا يفصلها عنها فاصل من جهاتها الأصلية ، فلا غرو أن يسكنها أقوام منذ القدم : يجتمعهم بالعروبة تقارب اللسان والدم ويقول هيرودتس : « في التاريخ القديم كان يسكن العرب في بادية العراق والشام وفلسطين وشبه جزيرة سينا وما يتصل بها من شرقى الدلتا والبادية الشرقية بمصر » . وتشهد الوثائق المصرية القديمة بأن فلسطين كانت موطنًا للعروبة .

وكان العرب يسمون بلادهم جزيرة ، ويحيطونها بالماء من كل الجهات . فالشام وفلسطين والجاز والبن وال伊拉克 ، أرض عربية والعلاقات بين هؤلاء السكان كانت متصلة طوال التاريخ ، ويدرك سفر التكوين أن الذين باعوا يوسف إلى عزيز مصر هم الإسماعيليون ، وترى حزقيال النبي في القرن السابع قبل الميلاد يخاطب مدينة صور الفينيقية قائلاً : « العرب وجميع رؤسائهم قيدار هم تجاري يدك » ص ١٧ .

(١) الأجناس والتاريخ ص ٤١٣ فرنساوى .

(٢) هيرودتس ص ١٦٠ . (٣) هلال يوليو سنة ٤٧ ص ٣٧ .

ولم تكن صلة اليهود بفلسطين إلا كموجة وقية ، رحلوا إليها كقبيلة ترحالية ، ولم يلشّعوا دولة تسيطر على السكان الأصليين ، كما هو المعروف في التاريخ عن الحكام الفاتحين ، بل ظلوا تحت سيطرة الفلسطينيين والكنعانيين ، والتاريخ شاهد عدل أمين : على أنهم خرجوا من عبودية المصريين تحت قيادة موسى الكليم ، وبينما كان عليه السلام يتلقى التوراة كانوا يركعون أمام حواري عجل من ذهب .

ولقد شرع الله لهم قوانين نوراً وهدى ، فإذا كان هناك عداوة من اليهود للوري ، فهذا على غير إرادة دينهم وبرغمهم ، ولكن الغرور ملأ رءوسهم حتى سموا أنفسهم شعب اللهختار ، وتأججت فيهم نار الأنانية الجنسية ، وغلبت عليهم المادة وطبعوا على عداوة الإنسانية ، وظنوا أن الله سبحانه إله محاباة لهم ، يبغض الشعوب أمامهم فلا يأخذهم بجرهم ، مع أن الله سبحانه ختم التوراة بياذارهم « إن لم تسمعوا إلى وكرهت أنفسكم أحکاماً فإن أعمل هذه بكم أذريكم بين الأمم وأجرد وراءكم السيف ، والباقيون منكم ألق الجبارة في قلوبهم في أراضي أعدائهم فيهزّهم صوت ورقة مندفعه فيربون كالهرب من السيف وليس طارد ولا يكون لكم قيام أمام أعدائكم ، فتهلكون بين الشعوب وتأكلكم أرض أعدائكم ^(١) » .

فإن كان لهم وعد في التوراة فهذا وعدهم ، وإن كانت قد ضربت عليهم الذلة والمسكينة بظلمتهم ، ولما حاول موسى نبيهم ، أن يأخذهم من

الصحراء إلى حضر يضمهم ، يأكلون فيه ما أشتهته بطونهم ، ويقيمون فيه الشريعة ويعبدون ربهم ، ثاروا وتدمر واجيناً وهناً . حتى كتب اللهم عليهم التيه أربعين سنة ، ذاقوا فيها البؤس والمسكنة ، ومات في أثناءها موسى كارهاً لهذا الشعب العنيد ، وكانت آخر كلمة افظها هذا التنبؤ الشديد « أنا عارف تمركم ورقبكم الصلبة ، وهوذا وأنا بعد حي معكم قد صرتم تقاومون الله فكم بالحرى بعد موتي ، أنا عارف أنكم تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي أوصيكم به ويصيبكم الشر في آخر الأيام » .
ولقد كان عليه السلام أعرف الناس بهم ، وأول من أكتوى بنارهم ، ولقد حقق التاريخ نبوته فيهم .

وتسرب اليهود مع يوشع إلى جزء يسير من فلسطين ، ولم يكونوا كالغزاة الفاتحين ، وإنما كالرجل المتسربين ، فلم ينشئوا دولة كالمستعمررين ولم ينشروا مبدأ كأهل دين . بل تراهم تأثروا بالسكان الأصليين لأنهم كانوا أرقى من اليهود حضارة ومدينة . واليهود طوال عمرهم في عبودية سواء لدى الأمة المصرية أو الفلسطينية . وكأنهم خرجنوا من ذلة فرعون إلى فلسطين للاستعباد والهون . ولم ترفعهم شريعة الكليم . ولذا فقد عبدوا البعليم كما استعبدوا لكل نازح ومقيم ، ونترك سفرهم يقص تاریخهم القديم !

« فعل بنو إسرائيل الشر وعبدوا البعليم ، ف humili غضب الله عليهم فدفعهم بأيدي زاهبين نهبوهم وباعوه بأيدي أعدائهم حولهم ولم يقدروا

بعد على الوقوف أمام أعدائهم حيث خرجوها كانت يد الله عليهم للشر
كما تكلم الله وكما أقسم لهم . وقال : من أجل أن هذا الشعب قد تعدوا
عهدي فأنا أيضاً لا أعود أطرد إنساناً من أمّتهم من الأمم الذين تركهم
يشوّع عند موته^(١) .

« فسكن بنو إسرائيل في وسط الكنعانيين والحيثيين والأموريين
والفرزيين والحوبيين والبيوسين ، وعبدوا آلهتهم فباعهم يد كوشان
ملك آرام النهرين ، ثم عبدوا ملك مؤاب^(٢) . »

« وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر فباعهم الله بيد ملك كنعان^(٣) . »

« وعمل بنو إسرائيل الشر فدفعهم الله بيد مدين^(٤) . »

« وعاد بنو إسرائيل يعملون الشر ، وعبدوا البعلم والعشتاروت
وآلهة آرام وآلهة صيدون وآلهة موآب وآلهة بني عمون وآلهة الفلسطينيين .

فهي غضب الله على إسرائيل ، وباعهم يد الفلسطينيين ويد بني
عمون خطموا ورضموا ببني إسرائيل^(٥) . »

ويينما كانت الحكومات النازلين بحوارها ، نصلفهم بنارها وسيطرتها
كانوا هم يستغلون بالإرهاب في بعض ، وبالإباحية وهتك العرض^(٦) .

وراجع إن شئت سفر القضاة الذي ختم بهذه الجملة « في تلك الأيام
لم يكن ملك في إسرائيل كل واحد عمل ما حسن في عينيه » .

أرأيت أن شخصية السكان الأصليين ، بقيت بارزة هذه القرون
وخلال اليهود مستعبدين ، ولم تصطبغ البلاد بهم لا في الدنيا ولا في

(١) قضاة من ٢ . (٢) قضاة من ٣ . (٣) قضاة من ٤ .

(٤) قضاة من ٦ . (٥) قضاة من ١٠ . (٦) قضاة من ٢١ .

الدين ، ويحدثك إسرائيل ولفدوسون : إن بني إسرائيل بعد توغلهم في فلسطين بقوا زماناً غير قليل محتفظين بصفات ومميزات سكان الصحاري في أخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم ونفورهم من كل أنواع التغيير والتجدد . وقد مضى عليهم قرون عدة وهم في همجيتهم الأولى^(١) .

وظلوا في هذه الهمجية ، قرون عدة وهم في العبودية ، ثم طلبوا من النبي صموئيل ملكاً كالشعوب ، فسامه هذا الطلب لأنه لا يصلح لهم ولا يصلحون له ، فأوحى إليه « اسمع لصوت الشعب لأنهم لم يرفضوك أنت بل إياتي رفضوا^(٢) ». فاضطر أن يقيم شاول (طلوت) ملكاً ، إلا أنه لم يكن على وفاق مع الكهنة حتى فتك بعده عدد كبير فساعد من بق منهم داود على تولي العرش في القرن العاشر قبل الميلاد في جزء من فلسطين ، وكاننبياً حكيناً تحصن في أورشليم ، وتغلب على الفلسطينيين ، ولكن قامت ضده ثورة إلهامية عنيفة بقيادة ابنه أبشالوم ، زلزلت مملكة الحديث من أركانه . ثم كانت معركة حامية ، قتل فيها أبشالوم ورثاه والده^(٣) .

وفي أيامه حدثت مجاعة ثلاثة سنين . ثم حدث وباء شديد سقط منه سبعون ألف رجل^(٤) .

وخلف داود ابنه سليمان سنة ٩٦٠ ق م ، وكان له صلح مع الملوك حواليه فصاهر فرعون ملك مصر وتأجر مع حيرام ملك صور المدينة الفينيقية الكبيرة ، واتصل بملكه سباً وقام بناء بيت الله بأورشليم ،

(١) تاريخ اليهود ص ٥ .

(٢) صموئيل أول ص ٨ .

(٣) صموئيل ٢ ص ٢٠ .

(٤) تاریخ اليهود ص ٥ .

(٥) صموئيل ٢ ص ١٨ .

ولما أتته أوحي الله إليه « قدست هذا البيت الذي بنيته لوضع اسمى فيه إلى الأبد ، إن كنتم أتم وأباوكم لا تحفظون وصاياي فإني أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التي أعطيتهم ، والبيت الذي قدسته لاسمي إسرائيل من أيامى ، ويكون إسرائيل مثلا وهزأة في جميع الشعوب ، وهذا البيت يكون عبرة كل من يمر عليه يتعجب ويصرخ ^(١) ». ولا تظنن أن فلسطين ، أيامه خلت من غير إسرائيليين ، بل ظل السكان الأصليون في قوة ، وإنما أدوا سليمان الجزية .

ويقول سفر الملوك أول « جميع الشعب الباقين من الأمراء الذين ليسوا من بني إسرائيل ، أبناءهم الذين بقوا بعدم في الأرض الذين لم يقدر بنو إسرائيل أن يحرموهم جعل عليهم سليمان تسخير عبيد » ص ٩ على أن هؤلاء الشعوب الأصليين ، ظلت لهم حضارة أحببت سليمان واستهان به مما جعلهم يتطاولون عليه وهو برىء مما نسبوه إليه ^(٢) .

وإن كان قد تسرب إلى كرسيه تماثيل أهل البلاد الأصليين أو المحاورين فقد يكون بمكيدة من أفراد شعبه ، لم يلبث أن أبعدها ، وملكه لم يك صافيا من مشاغبة الإرهابيين أو الملوك المحاورين وسفر الملوك أول يحذثك : وأقام الرب خصاً لسليمان هدد الأدومي ، كان من نسل الملك في أدوم وأقام الله له خصا آخر رزون الذي هرب من عند سيده ملك صوبه فجمع إليه رجالا ، فانطلقوا إلى دمشق وأقاموا بها وملكوا في دمشق ، وكان خصاً لإسرائيل كل أيام سليمان مع شر هدد ، فكره على إسرائيل وملك على آرام .

• (٢) ملوك أول من ١١

(١) ملوك أول من ٩

وبريعام عبد سليمان رفع يده على الملك وهرب إلى مصر ص ١١ .
ولقد أدرك هذا الملك على الفناء سريعاً بوفاة سليمان ، وما كان أسرع
زواله لأن هذا الشعب لا يصلح للملك ولا الملك له وله در القائل :
عيشى فلسطين في أمن وفي دعة فعجزات سليمان لها عهد
قد قال رب هب لي قال مملكة على اليهود وتم الموقف الفرد
لا ينبغي لسواه بعده أبداً تجميع من ربهم في المصرف ^(١)
وكان ملك سليمان قائماً على المعجزات الإلهية ، قبل أن يقوم على
السنن الطبيعية فالجن مسخرة له ، والرياح تحرك بأمره ، والطير تحديده
ويحدثها ، فأساس هذا الملك كان خوارق العادات ، وكم تفعل الخوارق
في روح الجماعات ، حتى إذا مات الملك والنبي سليمان ظلوا يتظلون
ملكًا يغير سنن الأكونان ، ويمسخر الريح والطير والجحان لم يكن في
الإبداع أحسن مما كان ، فبموجة انهاي ملوكهم من أساسه ، ولم ينفع لأحد
 منهم من بعده جمع المعجزة بالسياسة ، وهم شعب قد تربى من أول يوم
على المعجزات الحسية ، وأصبحت عقليتهم قلب الأوضاع الكونية ،
كما طبعوا على الإرهاب والإباحية من تدين إلى عهد الهمجية ، والشعوذة
السحرية . لعلهم يعيدون المملكة السليمانية .

إلى بابل

بعد سليمان انقسموا على أنفسهم في بقعة ضيقه، إسرائيل في الشمال بمنطقة، ويهوذا في الجنوب بمنطقة، والعداوة بينهما مستمرة والمحروب نارها مستمرة ، والأهالي الأصليون أكثر منهم قدرة وقد سيطروا على اليهود بمدينة وسخرة ، ونسى إسرائيل أنه صاحب فكره ، فعبد البعلم عشية وبكرة ، وناداه إيليا (إيلياس) النبي إن هذا عار وخزي «أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين. الله ربكم ورب آباوكم الأولين ، فكذبوه فكانوا من المدحدين» وكاد يمحى إسرائيل بالآثار ، وأخضعه ملك آرام ، ويقول سفر الملوك الثاني «فهي غضب الله على إسرائيل فدفعهم ليد حزائيل ملك آرام وابنه كل الأيام ... ولم يبق شعبا إلا خمسين فارسا وعشرة ألف راجل لأن ملك آرام أفنهم وضعفهم كالتراب للدوس» ص ١٣ .

واستولى الأشوريون على إسرائيل سنة ٧٢٢ ق . م ورحلهم إلى بلاده واستمع إن شئت إلى سفر الملوك الثاني : وكان أن بنى إسرائيل أخطاؤا إلى الله ، وسلكوا حسب فرائض الأمم ، وعملوا أمورا ليست بالمستقيمة وأقاموا لأنفسهم أنصابا ، وعملوا أمورا قبيحة وعبدوا الأصنام ، وأشهد الله على إسرائيل وعلى يهوذا عن يد جميع الأنبياء ، فلم يسمعوا بل صلبوا أقفيتهم كأقفيه آبائهم ورفضوا فرائضه وعهده وساروا وراء الباطل وصاروا باطلوا وراء الأمم الذين حولهم الذين أمرهم الله ألا يعملوا مثلهم ، وعبدوا البعل فغضب الله على إسرائيل ونحاح من أمامه فسي إسرائيل إلى أشور» ص ١٧ .

وأراد سخاريب الاستيلاء على يهودا بأورشليم ، ولكن اشعياء النبي تنبأ بأنه لن يفلح ، وقد تحققت تلك النبوة إذ فتك بجيش سخاريب طاعون مبيد ، ولكن ظهر لهم خطر أشد إذ استولى نابو خد ناصر على أورشليم سنة ٥٨٦ وهدم الهيكل واقتادهم إلى بابل وجعل أخبار الأيام الثاني هذه العقوبة ، إن جميع رؤساء الكهنة والشعب أكثروا الخيانة حسب كل رجاسات الأمم ونجسوا بيت الله ، فأرسل إليهم عن يد رسle مبكرا ، فكانوا يهزرون برسل الله ورذلوا كلامه وتهانوا بأسمائه حتى لم يكن شفاء . فأصعد عليهم ملك الكلدانين فقتل مختارهم بالسيف في بيت مقدسهم ، وجميع آنية بيت الله أُتى بها جميرا إلى بابل ، وأحرقوا بيت الله وهدموا سور أورشليم ، وأحرقوا جميع قصورها بالنار وسيدي الذين يقاومن السييف إلى بابل فكانوا له ولبنيه عبيدا إلى أن ملكت مملكة فارس لا كمال كلام الله بضم إرميا حتى استوفت الأرض سبواها لأنها سبتت في كل أيام خرابها لا كمال سبعين سنة ، ص ٣٦ .

وفي الأسر ذاقوا الضيم وانكسرت نفوسهم ويكونوا إلى ربهم وعندما استولى كورش ملك الفرس على بابل عاد اليهود إلى أورشليم . وبنوا معبدهم ولكن مملكتهم لم يعد ، بل ظلوا أقلية في جزء يسير حول أورشليم ولم تكن البلاد قد اضطاعت بصعبتهم في يوم من الأيام حتى أنهم ما كانوا يعودون إلا وقد وجدوا لغتهم قد ضاعت إذ ظهر تأثير إحدى اللهجات الكنعانية وهي الآرامية ، فأخذت العبرية تض محل وصار اليهود يتخاطبون بالآرامية ، ويقول تحميما في سفره « في تلك الأيام أيضاً رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء أشدوبيات وعمونيات ومنوآيات ، ونصف كلام بينهم باللسان الأشدوبي ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودي بل بلسان شعب وشعب » ص ٤٣ .

في انتظار المسيح

عادوا إلى أورشليم خاضعين لدولة الفرس من تحفين من الشعوب - حولهم الذين كانوا ينظرون إليهم كشيء غريب ، وقد ذى في فلسطين ويحدثك عزرا « وكان شعب الأرض كثروا شكوى على سكان يهودا وأورشليم (إلى ملك الفرس) والرسالة مكتوبة : إن اليهود الذين صدعوا من عندك إلينا . قد أتوا إلى أورشليم ، ويبنون المدينة العاصية الرديئة ، وقد عملوا عصياناً في وسطها منذ الأيام القديمة » ص ٤ .

ويقول تھمياً أيضاً « ولما سمع سنيطط وطويلاً والعرب والعمونيون والأشدوبيون أن أسوار أورشليم قد رمت غضبواً جداً وتأمروا جميعهم معاً أن يأتوا ويحاربوا أورشليم فصلينا إلى إلينا » ص ٤ .

وجاءهم اسكندر المقدوني وهو يضرم لهم الشر لارتمائهم في أحضان الفرس ، ولكن الحاخام استقبله بموكب حافل وسلموا أنفسهم له على أنه لم يستطع أن يقهر دولة الأنباط العربية بالشام^(١) كما امتنعت عليه جزيرة العرب .

أما اليهود فظلوا تارة تحت إمرة ملوك مصر البطالسة ، وطوراً تحت ملوك الشام اليونانيين ، واستطاع يهودا المكابي أن يكون له جماعة تناوى اليونانيين إبان ضعفهم واستقل بأورشليم ، ولكن الحوادث الإرهابية والفتنة الدينية بين مذهب الفريسيين والصدوقين سلمتهم إلى عبدية الرومان ، ويقول يوسيفوس « إن يوليوس مضى إلى الصدوقين واستئذنهم

على محاربة أخيه هرقلانوس والفرسقين ، خرج هرقلانوس إلى هرمته ملك الأعراب . فسار معه في عسكر كبير ونزلوا المدينة ، ولما علم بمبوبوس الروماني وكان بالشام . فقدم إلى المدينة بعسكره ، وجعل على اليهود خراجا يحملونه إلى رومية كل سنة ^(١) .

وملك الأعراب التي يشير إليها المؤرخون هي دولة الأنباط العريسة ، وهرمة ملك الأعراب هو المسمى الحارث الثالث ، ويقول جورجي زيدان : لهذا الحارث شأن عظيم في تاريخ هذه الدولة لأنه تغلب على البقاع بسوريا ، ودعاهم الدمشقيون ليتولى أمرهم فلكلهم سنة ٨٥ ق م ، وكانت دمشق قصبة السلوقيين فتوّلها ، واشتراك أيضاً مع هرقلانوس في تنازعه مع أخيه وحاصروا أورشليم ^(٢) .

رأيت أن اليهود قد عادوا من الأسر إلى حماية الفرس ثم الخضوع لليونان ، ثم الاستعباد للروماني ، فظلوا ينتظرون مسيحًا أى ملكاً يخلصهم ويعيد لهم ملك سليمان ، ويتحقق لهم تنبؤات الأنبياء القدماء : حرقايل وإرميا وأشعيا . فانتظروا المسيح الذي ينشئ دولة يكونون فيها أصحاب صولة ، وحسبوه حاكماً جباراً ، وملكاً قهاراً ، يذل الشعوب غير إسرائيل . يثبت ملكه الجيل بعد الجيل ، يجمع لهم من الدنيا الذهب ويأتي بالعجب .. مع ما وصلوا إليه من خلق عليل ، ولكن أليسوا أبناء الخليل ، وبينما يداعب خيالهم هذا الأمل الجليل ، وإذا بيوحنا المعمدان ينذرهم بهذا القيل : « يا أولاد الأفاغى من أراكم أن تهربوا من الغضب

(١) جورجي زيدان ص ١١٦ . (٢) العرب قبل الإسلام .

الآن فاصنعوا أثماراً تلقي بالتنفسة ، ولا تبتذلوا تقولون في أنفسكم لنا إبراهيم أباً . إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم ، والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر ، فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقي في النار^(١) .

وكان يعمد هم في نهر الأردن وجاء المسيح أيضاً فاعتمد منه ، ولكن هيرودوس اليهودي رئيس ربع الجليل من قبل قصر الرومان أمسك يوحنا وطراه في السجن من أجل هيروديا امرأة أخيه . لأن يوحنا كان يقول له لا يحمل أن تكون لك ، ثم لما صار مولد هيرودوس رقصت ابنته هيروديا فسرته ووعد بقسم أنه مهما طلبت يعطيها فهي إذا كانت تلفت من أنها قالت : أعطنيها هنا على طبق رأس يوحنا . فأحضر رأسه على طبق ودفع إلى الصبية^(٢) .

وابتدأ عيسى المسيح يدعو إلى المحبة والزهد والتواضع والغفوة ، وهم مع ما وصلوا إليه من فساد وشقاق ، وإباحية وإرهاب ونفاق وتقاليد وعبادات هي أشبه بالرسوم ، والمثال هو العبود الأول من قديم ، جفأ المسيح ينادي لا تقدرون أن تخدموا الله والمثال ، وبدلًا من أن يبشرهم بالدولة الأرضية التي كانوا يتخيلونها . جاء يدعوهم إلى المبادئ السامية التي يبغضونها ، وينقض المملكة السليمانية التي يتوصّلونها ، وأن المملكة السماوية ستعطى لقوم يعملون ثمارها ، ومر على السامرة ، وإذا كان قد تعب من السفر جلس بفم امرأة فقال لها : يسوع أعطني لأشرب

(١) إنجيل لوقا ص ٤ .

(٢) إنجيل متى ص ٣ .

فقالت : كيف تطلب مني لشرب وأنت يهودي وأنا امرأة سامرة ، لأن اليهود لا يعاملون السامريين ، أرى أنكنبي ، آباونا سجدوا في هذا الجبل وأنت تقولون في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه . فقال لها يسوع صدقيني أنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون لأن الخلاص من اليهود ^(١) .

إذاً فقد جاء المسيح يؤكّد لهم ، تشتيتهم وفناهم ، وأن الله إلى الأبد قد خذلهم ، وأن أمة أخرى ستتحمل العهد بدهم ، فبدد أوهامهم وخياطهم ، ألم تسمع قوله لهم : أما قرأتكم في الكتاب : الحجر الذي رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية ، من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا لذلك أقول لكم إن مملكت الله ينزع منكم ويعطي لأمة تعمل أماراته ومن سقط على هذا الحجر يتضرض ومن سقط هو عليه يسحقه ^(٢) .

حينئذ ذهب الفريسيون وتشاوروا والكل يصطادوه بكلمة ، فأرسلوا إليه تلاميذه مع الهيروديسين : أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا ؟ فعلم يسوع خبرهم وقال أروني معاملة الجزية فقدموا له دينارا . فقال لهم من هذه الصورة والكتابة . قالوا لقيصر فقال : أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله ^(٣) .

واليهود مع ما أحاط بهم من ذلة وخضوع واستعباد للشعوب وخنوع كان نفرهم باتصالهم بابرايم يملاً منهم الضلوع ، وكان النسب

(١) إنجيل يوحنا ص ٤ ٢١ .

(٢) إنجيل متى ص ٤ ٢٢ .

(٣) إنجيل متى ص ٤ ٢٢ .

هو الدين بلا إيمان أو خشوع . فلما أكده لهم بأن الملك عنهم ممنوع «أجابوا وقالوا له أبونا إبراهيم ، قال لهم يسوع لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلتم بالحق الذي سمعه من الله . أنت من أب هو إبليس وشهوات أبيك تريدون أن تعملوا^(١) » .

كانوا ينتظرون مسيحا ينشئه لهم دولة في الأرض ليتجبروا فيها وينشروا الإباحية والإرهاب ويفخروا بها ، وكم ناداهم المسيح وزادهم تنبئها بأن الله سيذل هذه الأمة اليهودية وينفيها ، بإرها بهم في الأرض المقدسة وبما أفسدوا فيها : « ودخل يسوع إلى هيكل الله وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل وقلب موائد الصيارة وكراسي باعة الحمام وقال لهم : مكتوب بيتي بيت الصلوة وأنتم جعلتموه مغاررة لصوص^(٢) » .

« لكن ويل لكم ، لأنكم تغلقون ملوكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون أنت ولا تدعون الداخلين يدخلون ، تنفون خارج الكأس والصحفة وهما من داخل ملوكوت اختطافا ودعارة . تشبهون قبورا ميسضة تظهر من خارج جميلة وهي من داخل ملوكوت عظام أموات وكل نجاسة ، وتقولون لو كنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء ، فأنت تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء ، فاملأوا أنتم مكيال آبائكم أيها الحيات أولاد الأفاعى كيف تهربون ، لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الأرض من دم هايل الصديق إلى دم زكرييا

(١) إنجيل يوحنا ص ٨ .

(٢) متى ص ٢١ .

ابن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح الحق أقول لكم إن هذا
كله يأتى على هذا الجيل .

يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجحة المرسلين هو ذا يبتكم
يترك خرابة^(١) ..

ثم خرج يسوع وممضى فتقدم تلاميذه لكي يزوجه أبنته الهيكل .
فقال لهم يسوع أما تنتظرون جميع هذه : الحق أقول لكم إنه لا يترك
هنا حجر على حجر لا ينقض فى نظرتم رجمة الحراب التى قال عنها
دانיאל النبي قائمة في المكان المقدس (يفهم القارئ) خينند لي Herb الذين
في اليهودية إلى الجبال^(٢) ..

«ومقى رأيت أورشليم محاطة بجيوش خينند اعلموا أنه قد اقترب
خرابها لأن هذه أيام انتقام ليتم كل ما هو مكتوب لأنه يكون ضيق
عظيم على الأرض وسيحيط على هذا الشعب ويقعون بغم السيف ويسمون
إلى جميع الأمم^(٣) ..

وقد تحققت نبوته عليه السلام . فكان شتان اليهود إلى يوم
القيمة ، وتلاشوا في الأمم ، ولم يبق لهم صلة لا يابراهم ولا أورشليم
ولا إسرائيل ، لأن من اتبع المسيح من الإسرائيلين هو إسرائيل
الجديد وقد استعرموا . أما اليهود بعد الحراب فقد تفرقوا أيدي سبا ،
ولم يعرف لهم أحد نسبا حتى قال العالم اليهودي فريدرخ هرتس : لم يعد
بإمكان أن يتمسك المرء بذلك الرأى الذى يمثل الآرين من جهة

(١) متى ص ٢٤ .

(٢) متى ص ٢٣ .

(٣) لوقا ص ٢١ .

واليهود من جهة أخرى كجنسين مختلفين أشد الاختلاف فقد أثبتت
البحث — بصورة لا تقبل الجدل — ما بين الاثنين من القرابة الشديدة ،
وقد استطاع اليهود في أثناء تاريخهم الطويل أن يتصوا مقداراً كبيراً
من الدماء الأجنبية ، وهذه الحقيقة تفسر ما نراه فيهم من اختلاف
الصور والأشكال ومشابهتهم للشعوب التي يعيشون بينها^(١) .
وهكذا باد إسرائيل القديم .

تشتيت اليهود

ويينما كان أتباع المسيح يزيدون ، وللحق والفضيلة يدعون ، وهم
على ضيم الرومان صابرون ، كان اليهود يفسدون ويضطهدون وبالإباحية
والفسق يباخرون ، حتى أصبحوا كالعضو الذي لا يرجى له شفاء ولا
يرأ له داء ، إنما القطع له الدواء ، والتشتت له جراء وربك لا يظلم أحداً
فشتتهم بددًا بددًا ، وظهر منهم الأرض المقدسة وجعلهم في العالم
منجسة ، وساترك مؤرخهم الثقة يحدّث عن جمعياتهم الإرهافية ، وأفعالهم
الإباحية ، فهذه جماعة الموت الأعمى ، في المكان المقدس الأسمى « وكان
مِنْهُمْ قَوْمٌ يَحْمِلُونَ سَكَاكِينَ ذَاتَ حَدَّيْنِ يَخْفُونَهَا فِي ثِيَابِهِمْ ، وَمِنْ أَرَادَ
أَنْ يَقْتُلَ رَجُلًا فَيَمْضِي فِي لَاصْقَهِ شَمْ يَضْرِبُهُ بِالسَّكِينِ ، وَكَانَ هُؤُلَاءِ
الْأَشْرَارُ جَمَاعَةً كَثِيرَةً لَهُمْ خَفَةٌ وَجَسَارَةٌ ، يَقْتُلُونَ وَلَا يَعْرُفُونَ . فَسُمِيَّ
هَذَا الْقَتْلُ الْمَوْتُ الْأَعْمَى^(٢) » .

رأيت أن اليهود مردوا على الإرهاب ، وكانوا هم السبب في تشتيتهم

(١) كتاب الأجناس والحضارة . (٢) يوسف اليهودي ص ٢١٨ .

والخراب ، فهذه جماعة الموت الأعمى تقتل في القدس بلا حساب ، وهذه جماعة العازر أحد الأوشاب ، وتلك جماعة يوحانان صاحب الأسلاب ، وأولئك جماعة شمعون قاتل الأصحاب ، ويحدثك يوسيفوس عن جماعة العازر . فاسمع منه الخطاب « كان حنان الكاهن كاهناً كبيراً ، وله ابن يقال له العازر ، كان جباراً فاتكاً ذاعراً ، انصاف إليه جماعة من أهل الشر وكانوا يمضون إلى بلد الشام فيقتلون وينهبون حتى أنهم أنهكوا أهل بلد سوريا وأضروا بهم ، ثم مضى مع أصحابه وقتلوا جميع من كان في أورشليم من الروم ، فسار وسباسيانوس من رومية ومعه ابنه تيطس في عسكر كبير فيه أكثر فرسان الروم ، وفتح حصوناً لليهود »^(١) .

ثم يحدثك يوسيفوس المعاصر عن جماعة يوحانان الإرهائية « كان في جبل الجليل ، يوحانان شرياً ، انصاف إليه جماعة فكان يقتل الناس ، فلما فتح الروم مدينة كوشالة ، هرب مع أصحابه إلى أورشليم ، وانضافوا إلى من كان فيها من أهل الردى ، وصاروا عصبة قوية متسومة للهيج ، متهأة للفتن والرهب ، وعزل الكاهن الأكبر حنان ، فاجتمع رؤساء المدينة مع حنان الكاهن . خاربوا يوحانان فانهزم إلى القدس وأرسل إلى أهل أدوم لمعونته ، فلما عرف الكاهن أمر بغلق الأبواب ، وإذا برعد وبرق وظن الكاهن أن ذلك معونة من الله لهم على أعدائهم فلذلك تفرقوا ولم يعلموا أنه كان سخطاً منه . وذلك أن يوحانان وأصحابه لما علموا مضوا إلى أبواب المدينة وأدخلوا عسكر أدوم ^(٢) وتفرقوا في المدينة

(١) ص ٢٤٢ .

(٢) يقول يوسيفوس إن أهل أدوم اعتنقوا اليهودية وهذا يدل على اختلاطهم بالشعوب .

وكتبوا المنازل ، وكان وسيسيانوس مقهيا بعسكره في قيصرية فلما علم سره ، ورأى أن يقيم في موضعه إلى أن يقوى الشربين أهل أورشليم وبذلك بعضهم بعضاً . فاتصلت الحروب بين أهل القدس ، وبين يوحانان وأصحابه وقويت الفتنة^(١) .

أما جماعة شمعون الإلهامية ، فيحدثك عنها يوسيفوس « كان بمدينته أورشليم رجل من اليهود يقال له شمعون ، وكان ساقطاً شريراً سافكاً فمضى إلى بعض الضياع ، وانضاف إليه جماعة من الأشرار وقطاع الطريق ثم جاء بعسكره إلى أورشليم .

وفي ذلك الحين ورد الخبر إلى وسيسيانوس أن نيرون قاصر قد مات فقسم عسكره نصفين أحدهما أخذها معه ، وترك النصف الآخر مع ابنه تيطس وأمره بمحاربة اليهود .

وعظمت الحروب والفتن بين اليهود ، ولم تبطل الحروب بين يوحانان وبين شمعون ، لافي صيف ولا في شتاء ، ولا في ليل ولا في نهار ، وقد كان العازر غائباً فعاد وصار ثالثاً لها ، وكثير القتل في الشوارع وفي القدس نفسه حتى تغطى الرخام بالدم ، وكانت جيف القتلى تسقط بعضها على بعض ، ولا تدفن حتى كثرت فيهم الأمراض ، وكان الناس لا يمشون إلا على قتيل . وكان الناس فيما بينهم يهلكون والمنازل تحرق فاجتمع عليهم أربع آفات القتل والحريق وال الحرب والجوع^(٢) . أرأيت أنهم يخربون بيوتهم بأيديهم ، وأن الإرهاب طبيعة فيهم ، فلا الأنسب

تحميمهم أو تقييم ، بل العدالة تفهيم من صياصيهم حتى كانوا أمثلا سينأوا في حاضرهم وماضيهم ، وتحقق وعيد الله فيهم ، وحاصرهم تيطس بناديهم وأخذ يوسيفوس الكاهن يناديهم « على أي شيء تعتمدون ، فإن قلتם على الله كما جرت عادته مع آبائنا فيجب أن تعلموا أن الله هو الذي سلط هذه الأمة عليكم لسوه أعمالكم ، لأنكم أهل لكم النقوص وبحسبكم هيكل الله القدس ، والله لا ينصر من عصاه .

وقد علمت أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب لم يمتنعوا عن طاعة الأمم الذين أقاموا بينهم ، والمتقدمون منها أيضا قد أطاعوا المصريين أو قاتا كثيرة وأطاعوا ملوك الموصل وملوك العجم ثم ملوك اليونانيين ثم ملوك الروم إلى هذه الغاية ، وقد علمت أن الله عز وجل قد جعل لكل أمة دولة وزمانا ، فإذا انقضى ذلك الزمان زالت دولتها حينئذ تذلل لغيرها ، فأنتم أيضا قد كان الله جعل لكم دولة مدة من الزمان ، ثم نقل المملكة والرياسة عنكم إلى من أراد ، ولقد كانت الجلوة لنا أصلح من السيطرة والسيطرة أفضل من الدولة ، وذلك الشتات كان لنا خيراً من هذا الثبات لأن الجلوة كسرت قلوبنا وذلت عزنا ، فلما أحسن الله إلينا وردنا إلى أرضنا عصياء ، وخالفنا وصياء ، وإذا كان الله قد كره سكني الآخيار مع الأشرار ، فبأحرى لا يشاء سبحانه أن يسكن جلال نوره بين قوم قد أغضبوه ، وإذا كان كذلك لا تشکوا في أن نور الله قادر حل من بينكم فأى خير ترجون ، وأنا أعلم أن كلامي لا يؤثر فيكم ليتم ما حكم الله به عليكم من هلاك هذه المدينة وخراب هذا القدس الحليل إذ سفكتم بهدم الزكي البار ^(١)

ثم اتفق رأى تيطس وأصحابه على ترك محاربة اليهود ، وأن يحاصرهم إلى أن يفهرون الجوع ، واسمع يوسيفوس يحدثك « لما طال الحصار على المدينة المقدسة فني كل شيء كان فيها ، وقوى الجوع حتى أكلوا الجيف حتى مات كثير من الناس » .

فلا طال الحصار جاع الخوارج وأذاقهم الله ما أذاقوه للناس ، وبلغ أمرهم أن أكلوا الحب الذي يوجد في زبل الحيوان ، وكان في أورشليم امرأة ، وكان لها نعمة واسعة ، ولم يكن لها غير ولد فلما قويت الجماعة ونهبت الخوارج جميع ما كان في منزل المرأة كما فعلوا بغيرها جاءت وجاع ولدها ، فلما زاد ما بها وما يصل إلى قلبها من بكاء ابنها وتضوره عدلت الصبر وفقدت التمييز . ثم قبضت على ناصية ابنها يدها والسكنين بالأخرى وهي كمسؤولية العقل . ثم حولت وجهها عنه ثم ضربته ثفات . حينئذ أخذت بعض لحم شوته على النار وأكلت منه حاجتها ، فلما ارتفع قثار ذلك اللحم وشمته الخوارج هجموا على المرأة ، ومضت ونصبت المائدة وأخرجت ما بقي من جثة ابنها وقالت هذا ولدي ، أكلت من لحمي حاجتي وهذه بقية أبيتها لكم فكلوا وابشعوا . فلما رأى الخوارج ذلك خرجوا مذعورين ، واشتهر خبر المرأة في المدينة وتحقق صحة الوعيد الذي سبق من الله فيهم وأيقنوا بالهلاك وإنكسر الخوارج وكادت ترق قلوبهم ، وأطلقوا للناس الخروج من المدينة ، ثم إن تيطس أمر بالإحسان إلى الذين خرجوا إليه فأطعمهم الطعام . فكان كثيرون لا يقدرون يفتحون أفواههم ، وجماعة لما أكلوا أمانوا ، وكان بعض هؤلاء اليهود لما أرادوا الخروج ابتلعوا ذهبآ فلما صاروا في عسكر الروم جلس

رجل يفتتش ما برب منه فرأه بعض السريان . فأخبر رفيقه فقتلا ذلك اليهودي ، وفشا الخبر فاتفق العرب والسريان على قتل اليهود لطعنهما في الذهب . فلما علم تيطس بذلك أنكره وغضبه منه .

وكان العرب والسريان إذا ظفروا بيهودي قتلوا في خلوة طمعاً في أن يكون في جوفه شيء من المال والجواهر^(١) .

ثم دخل تيطس بجيشه أورشليم ويقول يوسيفوس « ولما رأى اليهود أن قد تهدم سور المدينة وتسليوا أسوار القدس وملكتوه دبروا على الروم تدبيراً ، وذلك أنه كان بقرب القدس قصر عظيم فطلوا جميع ما فيه بالنفط ، ثم إن اليهود مضوا في الليل إلى الروم الذين في القدس فقاتلتهم ساعة ثم انهزموا إلى ذلك القصر فتبعهم الروم . فلم يجدوا أحداً لأنهم خرجوا من الباب الخفي ، فاشتعلت النار فانحدروا واليرون فوجدوا اليهود قد وقفوا لهم بالسيوف فهلكوا^(٢) .

وخرج منهم قوم في الليل إلى الروم فقتلتهم فبلغ الخبر تيطس فقتل أولئك وهرب من بقي إلى جبل صهيون ، فلما كان من الغد اجتمع وأحرقوا باب القدس الأقدس ، وذلك أنهم دخلوا إلى القدس بعظم حنق نخرج الأمر عن يد تيطس ، ثم اشتعلت النار وقويت على جميعه ، ولما علم اليهود مضوا إلى جميع ما في المدينة من القصور والمنازل فأحرقوا كل ذلك^(٣) .

رأيت أن الأمة التي تحمل رسالة سماوية ولا تسمو بها بل تتردى

(١) ص ٢٨٩ . (٢) ص ٣٠٤ . (٣) ص ٣٠٧ .

في أدران المادة وحوادث الإرهاب وبراثن الرذيلة . أرأيت أن الله لا يذرها في إفسادها . بل يأخذها بيدها ويعاقبها بحرها ويخرجها من أرضها ، وينقل مجدها إلى غيرها . أرأيت الشعب الذي سعى نفسه مختاراً للرب . ثم سود التاريخ وضجت منه الشعوب وينتسب منها الآنياء . ألم ينفذ الله فيه عدالته ويتحقق كلامه ، ألم تر كيف أنهم كانوا السبب في خراب أوزشليم ، بجمعيات هذا الإرهاب العقيم مما جلب عليهم التشتت إلى يوم الحساب « وَإِذْ قَاتَنَ رَبَكَ لِيَعْنَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُوَّمُهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ » .

اقترام عادوا عن غيهم ، كلا بل ظلوا في طعنائهم ينتظرون دولة تقوم بهم ، ويسمعون للكلذاب من كهانهم ، واسمع إلى يوسيفوس مؤرخهم « وكان في غد هذا اليوم الذي أحرق فيه القدس ظهر رجل من اليهود يدعى النبوة يقول : إن هذا البيت يبني كما كان من غير أن يمارس الآدميون شيئاً من بنائه ، لكن يبني بقدرة الله فدوموا على ما أنتم عليه من مقارعة الروم والامتناع عن طاعتهم ، ولما سمع كلامه من بقى من اليهود اجتمعوا فقاتلوا الروم ، فظفر الروم بهم فقتلوهم ، وقتلوا جمعاً من اليهود كانوا قبل ذلك قد رحموهم » .

ثم رحل تيطس إلى رومية ومعه الغنائم والسي سنة ٧٠ م ولكن العناد الذي ألهوه والإرهاب الذي حذفوه والفساد الذي شایدوه ، جعلهم يثورون مرة أخرى بالقدس . فلم يكن لهم من علاج غير التشتت في

ما جعل الأُمّةِ اطْهَرَ الرُّومَانِيَّ أُورِيَانَ سَنَةَ ١٣٥ مْ يَأْمُرُ بِهِدْمِ الْمَدِينَةِ مِنْ أَسَاسِهَا، وَذَبْعُ نَصْفِ مِلْيُونٍ مِنْ مُفْسِدِيهَا، وَتَشْرِيدِ الْبَاقِينَ فِي أَرْجَاءِ الْمُمْلَكَةِ وَأَفَاقِيهَا « ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلَلُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاهُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ »
بَيْنَمَا كَانَتِ الدُّعَوَةُ مُسْكِنَةً أَوْ إِسْرَائِيلَ الْجَدِيدَ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَالْبَرِّ
وَالْعَفْفَةِ وَالْبَرِّ مَا يَصْحُ أَنْ يَتَخَذَ دَلِيلًا عَلَى صَدْقَ الْعَزْمِ .

وَذَهَبَ حَوَارِيُّو عِيسَى يُنْشِرُونَ دِينَهُمْ صَابِرِينَ عَلَى الاضطهادِ،
وَلَا تَسْلِي عَنِ النَّجَاحِ الَّذِي صَادَفُوهُ « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا
أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى بْنُ مُرِيمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِيٌّ إِلَى اللَّهِ قَالَ
الْحَوَارِيُّونَ تَنَحُّ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّا تُطَافَّةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ
طَافَّةٌ فَإِيَّدَنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ » ١٤٢٢
سُورَةُ الصَّفِّ .

فَلَسْطِينُ الْعَرِيَّةُ

اسْتَرَاحَتْ فَلَسْطِينُ، وَبَاتَتْ فِي دُعَةِ مِنَ الْآمِنِ، وَبَادَ مِنْهَا إِسْرَائِيلُ
الْقَدِيمُ الْمَشَاغِبُ، وَظَهَرَ بِهَا إِسْرَائِيلُ الْجَدِيدُ الرَّاهِبُ، وَانْدَجَ السُّكَانُ
الْأَصْلِيُّونَ سَرِيَانِهِمْ بِعَرَبِهِمْ، وَسَكَنَ عَرَبُ تَنُوخُ بِقَنْسُرِينَ، وَظَهَرَتْ
دُولَةُ سَلِيْحُ الْعَرِيَّةِ فِي مَؤَابِ بِالْبَلَقاءِ، وَفِي سَلِيمَةِ وَحَوَارِيْنَ وَالْزَّيْتُونَ^(١)
وَتَغْلِبَ اللِّسَانُ الْعَرَبِيُّ عَلَى الْأَرَامِيِّ وَظَهَرَتْ الْلَّهَجَاتُ الْعَرِيَّةُ وَالْعَالَبُ
أَنْ فِي الْعَرَبِ خَاصِيَّةُ التَّشِيلِ إِذَا جَاوزُوا شَعْبًا قَرِيبَهُ مِنْ مَنَاحِيهِمْ
وَأَدْخَلُوا عَلَيْهِ لِغَتِهِمْ، وَكَانُوا مِنْذَ الْقَدْمِ الْمَادَةُ الْعَظِيمَى إِلَيْهِ مَا زَالَتْ

(١) الْهَمْنَانِيُّ مِنْ ١١٨ .

تفيض على الشام وأهل الوبر والمدر وتراثم من أصبر الأمم على الحروب والأسفار والاكتفاء بمسير العيش ، لكنهم لا يصبرون على الضيم والأذى وأصبح أذية العربي ملك دولة تدمر العربية سيدافي فلسطين وسوريا وآسيا الصغرى ، ويقول جورجي زيدان « وامتدت سلطته على سوريا وما إليها ولقب ملك الملوك ، واستأثر سوريا وسائر آسيا الرومانية وفي سنة ٢٦٤ تسمى حاكماً عاماً عليها ، وهو في الظاهر تحت سيطرة الروم ، ورجاله يدعونه صاحب السيادة المطلقة على آسيا الرومانية من أرمينيا إلى جزيرة العرب ، وكان كثير الاشتغال بمحاربة الفرس وردهم عن بلاده ، فإذا خرج لحرب أثاب عنه في حكومة تدمر أمر أنه زنوجها المشهورة في تاريخ هذه المدينة وكل سجايها تدل على أصلها العربي » .^(١)

وأنت ترى أن العرب أصبحوا العنصر السائد « ولم تطل حياة عنصر كما طالت حياة العرب في سوريا وفلسطين وهم الذين اندمجت فيهم عامة الشعوب القديمة واستعربت . فلم تعد تعرف غير العربية لساناً ومنزعاً ، ولذلك كان المعقول أن يدل الشامي بعربيته أكثر من إدلاله بفينيقية وأراميته وسريانية » .^(٢)

ويقول إسرائيل ولفنسون : أخذت اللهجات العربية والكتناعية الأصلية تض محل مع التغيرات السياسية إلى أن أصبحت أغلب بطون فلسطين وسوريا والعراق وطورسينا تتكلم باللهجات الآرامية .

. (١) خلط الشام من ٥٩ .

. (٢) جورجي زيدان من ٨٦ .

ثم أخذت هذه اللهجات في القرون الأولى بـ م تتدحرج تدريجياً في أطراف الجزيرة العربية وأخذت تنكمش وتتضاءل أمام اللغة العربية التي كانت في ذلك الحين تمتد وتنشر بسرعة حتى اضطرت بعض القبائل الآرامية والعبرية إلى أن تختلط بالعنصر العربي الأصلي وتندرج فيه شيئاً فشيئاً^(١).

وبينما كانت فلسطين وسوريا تصطفي بالصبغة العربية . كانت هذه الأرضى المقدسة تعنّق الديانة المسيحية ، ومنها ينتشر هذا الدين في سائر أرجاء الدولة الرومانية ، وقد دعا حواريو المسيح إلى المبادىء الإنسانية . فآمنت بها أولاً طائفة إسرائيلية . وظلت أخرى جامدة شعوبية إرهابية . فكان جزاؤها التشتت في الكرة الأرضية ، وأورث الله نصارى العرب إسرائيل الجديد هذه الإمامة ، وتمت كلمة الله «وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيمة» . ولما تولى قسطنطين سنة ٣١٣، اعتنق هذه الديانة ، واعترف بها ديناً رسميًا ورفع عنهم الاضطهاد والمهانة وارتاحت إلى أورشليم والدنه هيلانه ، ولوثت الهيكل بالزبل انتقاماً من اليهود وإهانة ، وبدت كنيسة القامة المسماة بالقيمة .

وكانَ المسيحيَّة تُنشر مع العروبة في فلسطين مهد النصرانية ، وتنصرت في بادية الشام دولة الغساسنة العربية ، «وكانَت كُلَّة الغسانيين العرب نافذة في سوريا وفلسطين والأراضي اللبنانيَّة»^(٢) .

(٢) جورجى زيدان ص ١٩٤ .

(١) تاريخ اليهود .

وأخذت النصرانية تتسرب إلى جنوب الجزيرة العربية ، وأرسى
القياصرة الكهنة والرهبان فدانت نجران باليهودية النصرانية ، وكان ظاهر
القياصرة التبشير وباطلهم المبادىء الاستعمارية . خاف ملوك اليمن من
نشر نفوذ الدولة الرومانية . فاعتنق أحدهم ذنواس الديانة اليهودية ،
ليقاوم ديناً كائناً بديانة سماوية ، وكان باليمين يهود وتحدثنا السيرة
الهشامية « وبنجران بقايا من أهل دين عيسى وهم أهل فضل واستقامة ،
فسار إليهم ذنواس نحدده لهم الأخدود ففرق من حرق وقتل من قتل ^(١) ».
ويقول إسرائيل ولنفسون « إن اضطهاد ذي نواس للنصارى كان
عنيفاً جداً حتى أنه ترك آثاراً هاجت النفوس العربية في البايدية
والحاضرة وقد خلد القرآن الكريم ذكرى قتلى نجران بآيات من ذهب
« قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودَ ، النَّارُ ذَاتُ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ » .
وبإيعاز من الروم قامت مملكة الحبشة النصرانية بحملة كبيرة شنتها
على المملكة اليمنية ، فلكلها وولت عليهم أبرهة الذي بنى كنيسة صنعاء
وحاول هدم الكعبة بالأراضي الحجازية فأرسل الله عليهم طيراً جراثيم
كالقنابل الذرية ^(٢) .

ومن المضحك المبكي ما يحدثك به إسرائيل ولنفسون « وقد كان
لانكسار الدولة الخيرية أمام الحبشة ربة أسى شديدة في قلوب اليهود
فظهرت مع الزمن أقاصيص كثيرة وأساطير خرافية عن أبطال حمير
فن ذلك ما قيل إن أصل هؤلاء من بقايا أبناء بنى إسرائيل البائدة وإن
هذه الجيوش لم تغلب على أمرها بل رجعت على أعقابها إلى داخل

(١) سورة الفيل .

(٢) ابن هشام ط من ٧٤ .

البلاد الرملية ، وأنها كونت في تلك الأرجاء دولة عظيمة يظهر بطشهما
في اليوم الذي يتاح لها فيه النضال ويؤذن لها بخوض المعرك وقد كانت
الأقاصيص سبباً في أن شرع جماعة من اليهود في القرون الوسطى
يرسلون إلى بلاد العرب ليبحثوا عن تلك الجيوش التي توارت
عن العيون^(١) !!

فلسطين للعرب

إن علاقة العرب بفلسطين ترجع إلى ما قبل التاريخ القديم ،
وما هذه الأرض المقدسة من الجزرة العربية إلا بقعة أو إقليم ، وكان
العرب منذ البدء يغدوون إليها بين مسافر ومقيم ، وقد رأيت أن العنصر
العربي أصبح هو السائد في البلاد ، ولغة العرب لسان القوم في كل
ناد ، يدينون بال المسيحية ويمتنون بأصولهم إلى القبائل العربية ، وكان يحوران
وشرق الأردن وفلسطين الدولة العربية الغسانية ، فلا غرو أن تذهب
قريش بتجارتها ، إلى فلسطين جارتها ، وتعامل ببنقتها وتنتحاطب
بلغتها ، وإلا فكيف تروج السلعة . وتم البيعة ؟

ويذهب النبي الأمين ، مرتين بالتجارة إلى فلسطين ، والنبي
إذ يدخل بهذه الأرض العربية ، فإنه يؤكّد الرابطة العنصرية ، بين بلدين
مقدسين ، ويربطهما كالحاجب بالعين ، ويجعل أفتدة المسلمين تهفو
إليهما طول الأيام ، وتذكر خطوات النبي بين مكة والشام .
وما بال النبي عليه الصلاة والسلام ، وهو في مكة مضطهد يجاهد

(١) ص ٤٩ تاريخ اليهود .

عبد الأصنام ، يهُم بثنو فلسطين والشام ، حينما أتى جيش الفرس .
وملكوا الشام والقدس ، وذبحوا السكان سنة ٦١٤ ميلادية ، وقهروا
الرومان والدولة الغسانية ، وتقدم كسرى إلى مصر وقتها ، وأصبحت
فلسطين في حال يرث لها ، واتصر على أهل الإنجيل عبد النيران ،
فترى الوحي يتنبأ في الفرقان ، إن الله في بعض سنين سينتصر الرومان^(١)
ويومها ترفع راية القرآن ، ويفرح المؤمنون بنصر الله في كل البلدان
وسرعان ما تتحقق النبوة القرآنية وانتصرت الجيوش الرومانية ،
ولكن ذلك كان تهيئة لاستقلال كل الشعوب العربية ، بفلسطين والشام
والبلاد العراقية ، على يد الدولة الجديدة الإسلامية ، التي ظهرت
بالأراضي الحجازية لنشر الرأبة الربانية .

ويأتي الله إلا أن يربط القطرين بضياء مقدس ، فيسرى بنبيه ليلة
من البلد الأمين إلى بيت المقدس ، وما هي إلا ساعة يتجمع فيها النور
الكريم ويؤسس ، ويتصل النبي ياخوه الأنبياء ويجلس وتشرق الأرض
المقدسة من جديد بنور أطلس ، ويعرج على حبرون بيت الخليل أبيه ،
ويمر على بيت لحم مهد المسيح أخيه ، وينزل بهيكل سليمان ويصل
فيه ، وربك يجمع العالم في واحد يصطف فيه ، وتأثر نفس النبي حينما يرى
الهيكل في خراب وتهديد ، فيقص الله عليه السبب من فساد اليهود ،
وإرهابهم في الأرض المقدسة حتى كتب عليهم التشريد . إلى يوم القيمة
وما ربك بظلام للعيid « وقضينا إلى بني إسرائيل الكتاب لفسد
في الأرض مرّتين ^(٢) » .

• (٢) سورة الإسراء .

• (١) أول سورة الروم .

والنبي إذ يسرى به ربها إلى هذه البقعة المباركة ، فإن قلوب المسلمين أصبحت بها مغطاة ، يجدنهم إليها نور النبوة المقدسة وترتبطهم بها قداسة المسري وإخوة العروبة فهى منهم كالقلب الذى ينبض ، يفدونها بأرواحهم من كل خطر يعرض .

ويهاجر النبي إلى المدينة ويتخذها موطنها ، ويولى وجهه فيها شطر المسجد الأقصى سنة وبضع سنة ، ليبرهن أنه الوارث هيكل سليمان ليجدده وزينه وأنه وصل الوحي قد يمه بحديثه وأعلنه ، ثم يحوله الله إلى الكعبة مبني الخليل إبراهيم ، ليربط التاريخ الحديث بالتاريخ القديم ، ول يجعل بنت القدس بالكتيبة الأم الرءوم ، وليروح بين مكة وبين أورشليم ، ولو أوجوههم أولاً إلى بيت المقدس ، إشارة إلى أنهم اقتسبوا من الأديان السابقة ، أصولها السامية ، وأنهم يحتربونها ويعتزون بماضيها ثم يولون وجوههم شطر الكعبة القديمة في بنائها ، الحديثة في عهدهما ليقدسوها كما قدسوا الصخرة ، ولينشئوا وسطاً على الفطرة كملة إبراهيم بمبادئ حرة ، ولما تنصرت الرومان خربوه ودنسوه بمواد قدرة ، أما الإسلام فولي وجهه شطره مدة من الزمان ليعرف له شرفه وقدره .

وكان بالمدينة يهود عاهم النبي فنقضوا عهده ، لأن النبي آمن بال المسيح عيسى وبين المسلمين عده ، وهم يقتذفونه بفحش القول هو وأمه البتوأ وينتظرون مسيحاً يجيد فن التنجيل ، وسرعان ما عاد إليهم طبعهم ، وحاولوا قتل النبي يارهابهم ، وكم طافوا بالوثنيين على الإسلام يؤذبونهم ، ويفضلون عابدى الأصنام على موحدى ربهم ، مما جعل اسرائيل ولنفسون يندد بهم « كان من واجب هؤلاء اليهود ألا يتورطوا

في مثل هذا الخطأ الفاحش ، وألا يصرحوا أمام زعماء قريش بأن عبادة الأصنام أفضل من التوحيد هذا فضلاً عن أنهم بالتجاهل إلى عبادة الأصنام إنما كانوا يحاربون أنفسهم بأنفسهم ويناهضون تعاليم التوراة التي توصيهم بالنفور من أصحاب الأصنام ، وقد أشار القرآن إلى عمل النفر من اليهود وتحزبهم مع قريش وغضفان على الإسلام بقوله : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَبَرِ وَالظَّاغُوتِ ... » آه سورة النساء .

ولما هرّهم ضياء الوحي الجديد ، نبذوا التوراة والتلمود وقالوا هذا أعلم بديننا منا عشر اليهود ، وجلأوا إلى السحر والجحان لعلهم يعيدون ملك سليمان « وَاتَّبَعُوا مَا تَنَاهُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ... » .^(١) قال البحاثة ديشان : « إن هذه الدعوة السحرية ترجع إلى تعاليم السكا بالاسمية وهي التعاليم العبرية في أمور الخفاء ومدارك الغيب وإن هذه الدعوة التي اجتاحت أوروبا مدي قرون ثلاثة لم تكن سوى أثر من الجهود السرية التي بذلها اليهود منذ ظهور النصرانية والإسلام في سبيل هدمهما انتقاماً لدينهم » .^(٢)

ولقد أدرك النبي أن وجودهم في الجزيرة العربية ، خطرآ يهدد كيان الوحدة القومية ، لأنهم منبع الإرهاب والإباحية ، وموطن شر في الأرضى الحجازية ، كما كانوا جرثومة فساد بالأراضى الفلسطينية ، فأجلالهم عن هذه الأرضى المقدسة الإسلامية ، ولما جاء عمر طهر منهم الجزيرة بأمر النبي ووصيته .

(١) الجمعيات السرية ص ٧٢ .

(٢) سورة البقرة .

ولما فتح عمرو بن العاص أجنادين ، ترك أهل إيليا « بيت المقدس » مخصوصين ، وشرع يتمم فتح فلسطين ، وأرسل إلى عمر لأن أهل القدس طلبوا الصلح على يد الخليفة ، وسار عمر حتى دخل الجاية ، وبينما هو بها إذ جاء أهل إيليا طالبين الصلح وخائفين على كننيتهم العظمى وقبلتهم المقدسة ، فأمنهم الخليفة وكتب لهم بذلك عهداً سنة ١٦ هـ وهذا نصه :

« هذا ما أعطى أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان ، أعطاه أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسائر ممتلكاتهم ، أنه لا تسكن كنائسهم ، ولا يهدم ولا ينقض منها ولا من حيزها ، ولا من صلبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بإيليا معهم أحد من اليهود ^(١) ».

ثم قصد أمير المؤمنين بيت المقدس حتى انتهى إلى المسجد الأقصى فصل في فيه ثم قام إلى كنائس (أى زبالة) كان للروم جعلوها مكان هيكلاً اليهود بعد أن هدموه وألقوا عليه تلك الزبالات وقال إليها الناس : اصنعوا كما أصنع — وجثا في أصلها وحشاً التراب في ذيل ثوبه ، فسمع التكبير من خلفه وكان يكره سوء النظام في كل شيء ، فقال ما هذا : فقالوا أكبّر كعب الأحبار ، وكبّر الناس بتكبيره ، وكان كعب هذا حبر من أحبّار اليهود بالمدينة صحب النبي وصحابيه ، ولم يشأ أن يسلم حتى يتحقق جميع العلامات التي قرأها في كتببني إسرائيل ، ثم أسلم في خلافة عثمان ،

فقال عمر على به فسألة عن سبب تكبيره ، فقال يا أمير : إنه قد تنبأ بما صنعت نبي منذ خمسة وستة سنة .

وعادت فلسطين إلى أمها الجزيرة العربية ، واستقلت عن سيطرة الدولة الرومانية ، ومن الخطأ أن يقال إن فلسطين وسوريا والعراق ومصر قد فتحها العرب ، والحقيقة أنها ضمت لأنهم بنو أب .

وعاشت فلسطين بين أخواتها حرة طليقة ، المسجد بجانب الكنيسة والمسيحي يفخر بعربيته ، والمسلم يزهو بأخوه ، وتوثقت العلاقة بالحكم العربي بين الأقطار الشقيقة ، ورفع علم الاستقلال إلى الأبد بالحقيقة ، والعربي لا يدين إلا بالحرية الطليقة ، ويضحي من أجلها نفسه ونفيسه سليقة وباطن الجزيرة حول الكعبة عاشوا أطول تاريخهم من الاستعمار في أمان .

ولما جاء الإسلام رفع نير الأجنبي واستقلت البلدان ، وزحفت العربية بالخلق العربي والنور النبوى والسان ، واصطبغت الأقاليم بها كما قال رنان : « إن أغرب ما وقع في تاريخ البشر وصعب حل سره انتشار اللغة العربية ظهرت لأول أمرها تامة ، وما عهدنا قط فتوح أعظم من الفتوح العربية ولا أشد سرعة منها »^(١) .

واللغة العربية دخلت واسعة النطاق إلى الشام من الجنوب منذ ثلاثة قرنا وزادت بالإسلام رسوحا وانتشارا^(٢) .

وقال سيادة المطران غريغوريوس الحجار « إن الفلسطينيين العرب

(١) خطط الشام من ٧٢ خطط الشام .

(٢) من ٢٢ خطط الشام .

هم منحدرون من سكان فلسطين الأصليين الذين توطروا بهذه البلاد من آلاف السنين قبل اليهود ، ولم يقو اليهود على طردتهم وبقيت البلاد باسمهم إلى الآن ، فلم يملك اليهود إلا جزءاً منها مدة بعض قرون ، ثم ظهر الدين المسيحي في فلسطين فتنصر كثيرون ومعهم قسم من اليهود كما تذكر الكتب السماوية ، وأصبحت فلسطين مسيحية ، ثم أتى الفتح الإسلامي فاحترم المقدسات ، لأنه يجل المسيح نفسه ، ولكن القسم الأكبر من المسيحيين اعتنق الدين الإسلامي ، وانتشرت اللغة العربية حتى عمت البلاد .

ومن جمال من ايا الفتح الإسلامي العربي أن امتهج الفاتحون بشعوب البلاد التي افتحوها وحولوها إليهم ، وبقي قسم ضئيل من المسيحيين حافظاً على نصراناته ، لكن ذلك لم يضر بوحدة الأصل وصلة الدم بين الفريقين ^(١) .

ولما دخل المسلمون فلسطين لم يكن فيها يهود بل كانت خاوية منهم كما أجروا عن الجزيرة برمتها .

قال كلرمون : لما دخل المسلمون فلسطين ، لم يجدوا يهوداً لأن حروب تيطس وتراجا واضطهاد ملوك النصرانية لم يترك حبراً على حجر من اليهودية السياسية ، بل ذروا رمادها في الرياح الأربع ففقدت فلسطين جميع التقاليد اليهودية ^(٢) .

فالعرب هم أصحاب فلسطين الشرعيون ، وأهلها الحقيقيون منذ عدة

(١) ص ٤٥ الشهادات السياسية في فلسطين .

(٢) خلط الشام أول ص ٩٥ .

قرون ، ومع أنهم كان لهم علاقة فيها قبل الإسلام فإن علاقتهم بها أصبحت حاسمة شاملة بالفتح العربي سنة ٦٣٨ م حيث اصطدمت بالصيغة العربية الشاملة ، وما زالت كذلك وإن تزال إن شاء الله إلى يوم القيمة .

وتوثقت هذه العلاقة بالحكم العربي الذي ساد هذه البلاد سواء في دور الخلفاء الراشدين ، أو دور الخلفاء الأمويين ، أو في دور الخلفاء العباسيين ، أو في دور الخلفاء الفاطميين ، أو في دور الأيوبيين ، أو في دور الماليك (٦٣٥ - ١٥١٧) م ولم تكن الفترة القصيرة التي حدثت فيها الحروب الصليبية لتؤثر على صيغة البلاد العربية .

ومع أن الدولة العثمانية قد فتحت فلسطين ضمن ما فتحته من الولايات العربية ، فإن صيغة العروبة ظلت ثابتة ، لأن العرب كانوا يؤلفون جزءاً مهماً من كيان الدولة العثمانية .

ومن الخطأ أن يقال : إن العرب كانوا تحت نير عبودية الأتراك . فقد كانوا في الحقيقة يتمتعون بجميع أنواع الحقوق التي كان يتمتع بها الأتراك سياسياً أو غير سياسية ، وكانوا يشاركونهم في جميع مناصب الدولة المدنية والعسكرية ، فكان منهم رؤساء وزارات ووزراء وقواد فيالق وسفراء وولاة ، كما أنهم كانوا شركاء في البرلمان العثماني ، وفوق ذلك فقد كانت البلاد العربية تدار بحكم يستند على مجالس إدارية منتخبة في الأقضية . . .

غير أن العرب كانوا بالرغم من ذلك كله يطمحون إلى استكمال سعادتهم القومية طموحاً إلى استعادة المركز الممتاز الذي كان للشعب

العرب في القرون الغابرة ، والذى قدم فيه للحضارة الإنسانية خدمات عظيمة بادية الآثر في كل نواحي الحياة المدنية العالمية ، فلقد اعتنق رجالات العرب وشبانهم الذين كان منهم عدد كبير من فلسطينيين الفكره الاستقلالية ونشروها بقوة في جميع أوساط البلاد العربية وكان آخر هذه الأعمال قيام شريف مكة — الشريف حسين — بثورته الكبرى باسم العرب متحالفاً مع بريطانيا سنة ١٩١٥ للوصول إلى تحقيق الغاية المنشودة من الاستقلال التام لبلاد العرب والعراق وفلسطين والشام^(١) .

ولكن إنجلترا كانت كالتنين ، ونفخت السم في فلسطين وزنت مع الصهيونيين ، وولد بلفور الجنين ، ليكون شغبآ طول السنين ، في البلد المقدس الأمين ، لتبرر الاستعمار العين ، واليهود يبذلون لهم الذهب المثير ، لأنهم للمسيح ينتظرون ، ويتظاهرون بأنهم مضطهدون ، فسحقاً للكاذبين والغاصبين ، والنصر للعروبة مسلمين ومسيحيين ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلون وسيطهر هذه الأرض المقدسة من الصهيونية والمستعمرات ، ويومئذ يفرح المؤمنون .

(١) من مذكرة اللجنة العربية العليا كانون الثاني سنة ١٩٣٦ .

أسطورة الصهيونية

أو المسيح المنتظر

اليهود مدينون ببقائهم إلى اليوم للإسلام : ولو لاه لكان أمة بائدة
ب بينما كانت الأمم تعاملهم معاملة التنين ، كان المسلمون يعطونهم الحرية
الدينية والاجتماعية والفكرية قالت دائرة معارف القرن التاسع عشر
الفرنسية : ولكن لما فتح المسلمون بلاد الرومان حسن حال اليهود
فاستغلوا بالتجارة . ناعمى البال في بغداد والقاهرة وقرطبة وباختلاطهم
بالعرب درسوا العلوم والصناعات بنجاح^(١) .

وقال الكونت هنري دي كاستري « إن اليهود إنما وجدوا مجيرا
وملحاً في الإسلام ، فإن كانت لهم باقية حتى الآن فالفضل فيها راجع
لحسنة المسلمين ولبن جانبهم^(٢) . »

ويحدثنا إسرائيل ولفسون « وينبغى إلا يغيب عن البال أن الخسارة
القليلة التي لحقت يهود بلاد الحجاز ضئيلة بالقياس إلى الفائدة التي
اكتسبها العنصر اليهودي من ظهور الإسلام فقد أنقذ الفاتحون المسلمين
آلافاً من اليهود كانوا منتشرين في أقاليم الدولة الرومانية ، وكانوا يقايسون
ألواناً شتى من العذاب زد على هذا أن اتصال اليهود بالمسلمين في الأقاليم
الإسلامية كان سبباً في نهضة فكرية عظيمة عند اليهود بقيت آثارها
في تاريخ الآداب العربية والعبرية زمناً طويلاً^(٣) . »

(١) باب إسرائيل . (٢) الإسلام خواطر وسواعر ص ٤٢ . (٣) ص ٤٢ .

واليهود تغلب عليهم المادية ، وتسيرهم النقدية ، والإرهائية
والإباحية ولا يديرون إلا بالأمور الجحشية ، وكان أحبارهم يرغبونهم
إن استقاموا بملكه دنيوية ، ويرهبونهم إن أفسدوا بذلك عبودية
لأنهم كانوا على حال فطرية — أما المسيحية فرغبت إتيانها بملكه
سماوية والاسلام وعد أتباعه بخلافة أرضية ثم جنة قدسية ، ومع أن
اليهود لم يقم لهم ملك في كل الأزمان إلا دولة دودا وابنه سليمان ،
و قبلهما وبعدهما عاشوا في ذلة وهو ان وأسروا إلى بابل على يد بختنصر ،
ثم عادوا في أحضان كل من يستعمر . ظلوا يتظرون مسيحا ملكا
يخلصهم ، ويعيد لهم الدولة ويملكهم وكانت الأنبياء قد تنبأوا بظهور
المسيح وخاتم النبيين فأما المسيح فقد كذبوا ، ونسوه للفحش
وأضطهدوه حتى كتب الله عليهم التشريد الأبدي بما ارتكبوا ، ولما
ظهر النبي الجليل ، لم يؤمنوا به لأنه من غير إسرائيل ، وظل شياطين
أحبارهم توحى إليهم بكل تأكيد ، أن المسيح لم يظهر بعد في الوجود ،
 وأنه إذا ظهر فسيعيد الدولة لليهود بفلسطين مكان الجدود ، ويجمعهم
بعد هذا التشريد ويهدم للمسيحيين والمسلمين أما كنفهم المقدسة ، لأنها
في نظرهم مدنية ، ويبني الهيكل ويؤسسه ، ويهدم بحيرة طبرية لأن
معموديتها في عرفهم منجسة ، وهكذا نشأت عند اليهود هذه الخرافات ،
ومع أنها كذب وسخافة ، أكدوها في نفوسهم ونسبوها إلى كتبهم ،
ونسوا أن المسيح قد ظهر بينهم وأن أتباعه كالنجوم عدا ، وأن هذه
الفكرة الخيالية أصبحت لهم لحدا : تقنيهم الفناء الأخير ولا تبقى منهم
حدا قال إسرائيل ولقليوسون : « إن ما رسم في نفوس اليهود من »

اعتقاد مجىء مسيح ينقذهم من البوس والشقاء كان سبباً لظهور عدة أشخاص من اليهود في القرون القديمة والوسطى بظهور الأنبياء والمرسلين حيث عرضوا على إخوانهم تعاليم دينية جديدة وادعوا لأنفسهم دعوة المسيح المنتظر وقد ملأت هذه القصة صحفاً كثيرة من صحف الأدب الاسرائيلي القديم والحديث ، وكثيراً ما كانت سبباً في نزول بلايا ورزايا كثيرة باليهود في أدوار مختلفة ولا تزال هذه العقيدة إلى اليوم راجحة في نفوس الطبقات المتدنية من اليهود^(١) ألم ترائهم لما ضرب الهيكل على يد الرومان تنبأ لهم كاذب منهم «أنه سيبني بواسطه الملائكة» صدقوه وقاوموا الرومان . فشردت بهم من خلفهم ، وأنه لما غلب ملك اليهودي ظنوا أنه لم يغلب هو وجيشه ، وأنه اختبأ في باطن الجزيرة وأرسلوا يفتشون عليه .

ولا أذهب بك بعيداً فإن محتالاً من شبان اليهود نشأ في الموصل في القرن السادس الهجري ، يعرف بابن الروجي وكان ذا جمال وفقه فادعى أنه المسيح المنتظر وتبعه يهود كثيرون من الشرق استدعاهم وطالهم بأن يكون مع كل واحد سيف يخفيه تحت ثيابه بكمعية الإرهاص الأعمى فلما انكشف أمرهم قتلهم الوالي وعفا عن أتباعه وعادوا إلى أوطنهم بعد أن ذاقوا الفقر والمشقة ولكنهم ظلوا يتظرون عودته فانهز شخصان من محتالى اليهود ، فكتباً إلى يهود بغداد على لسان ابن الروجي «يبشرهم بالفرج الذي يتظلونه وأن يعين لهم ليلة يطيرون فيها أجمعين ، إلى القدس بفلسطين» فانقادوا وذهبوا إليها بأموالهم

وحلهم ولি�تصدقوا بها على من يستحقها ، وصرف اليهود كل أموالهم واكتسوا ثياباً خضراء وأقاموا في تلك الليلة على السطوح ينتظرون الطيران على أجنبية الملائكة إلى بيت المقدس وارتفع من النساء بكاء على أطفالهن المرتضعة خوفاً أن يطرن قبل أولادهن ، وبعث المسلمين هنا لك ولكنهم انتظروا إلى أن أسفر الصباح عن خذلانهم وانكشف وجه الحيلة حتى اشتهر هذا العام بعام الطيران »^(١) .

ولما كان اليهود قد تربوا على المعجزات الحسينية وقامت مملكة سليمان على الخوارق النبوية ، ظنوا أنهم يستعيدونها بالطلاق السحرية « فمنذ أقدم العصور ترى أثر التعاليم اليهودية الفلسفية السرية ، ظاهرًا في معظم الحركات السرية ، والمصدر الذي تجتمع فيه التقاليد اليهودية السرية ، إنما هو فلسفة الكابالا وهي كلية عبرة ، معناها ما يتلقى أعني التقاليد ، والكابالامزيج من الفلاسفة والتعاليم الروحية والشعوذة ، والسحر متعارف عند اليهود منذ أقدم العصور ، وكان دعاء السكاكيا لا يعلقون أهمية كبرى على السحر والشعوذة واليهود ببعث الروح الثورية وقاده المدم كا يقول كاتب من أعظم كتاباتهم برنار لازار « اليهودي مضطرب بروح شريرة وهو دعاء لاثرية ، داعي لشيء ، داعي لشيء ، داعي لشيء »

وحيثما هبت ريح الثورة اجتمعوا من وراء ستار ومالوا إلى الجانب
الظافر ليأخذوا نصيبيهم من الغنيمة^(١) .

«وفي سنة ١٦٦٦ م اضطراب العالم اليهودي من أقصاه إلى أقصاه
لظهور داعية يسمى «شایتای تسيبی» وهو ابن تاجر من أزمير زعم
أنه هو المسيح المنتظر ، وكانت فكرة المسيح المنتظر ذاتعة عند ذلك في
المجتمع اليهودي .

ولذلك صادفت دعوة شایتای تأييداً كبيراً من اليهود ، بل أيدوها
كثير من اليهود المترورين وأصحاب الأموال لأغراض سياسية
ومالية ، وكان متمننا من الكابالا بارعاً في السحر والشعوذة وسمى
ملك ملوك الأرض ، ولكن السلطان العثماني سخط منه وطلب بأن
يثبت دعواه بأن يستقبل السهام المسمومة فادعى الإسلام تارة واليهودية
طوراً آخر فكرهه اليهود وسعوا به إلى السلطان حتى سجن ومات
سنة ١٦٧٦ وأصبح له أتباع حتى القرن الثامن عشر^(٢) .

ويقول الدكتور حايم وايزمن رئيس الجمعية الصهيونية العالمية
في شهادته أمام اللجنة الملكية في نوفمبر سنة ١٩٣٦ «إن الحركات
التحريرية التي قد يمكن أن تكون حركات شبه دينية وفي حقيقتها تشبه
الحركة الصهيونية اليوم قد ظهرت في القرن السابع عشر» .

ففي ذلك الوقت قام شخص من بلدة أزمير وأعلن عن نفسه أنه
المسيح المنتظر ، وقال إنه رأى في الحلم أنه الشخص الموعود الذي

(١) من ١٠٧ الحركات المدama .

(٢) الجمعيات في السريّة من ١١٩ .

سيعيد اليهود إلى فلسطين فالتف حوله يهود من أكثر أطراف العالم ،
بيتهم الصيرفي والناجر والعامل وغيرهم ، وقد كان الاستعداد للسفر إلى
فلسطين عظيماً من بولونيا وحتى هولاند الدرجة أن باع اليهود أملاً كثيـرـاً
ومتاجراً لهم وقطعوا كل علاقة لهم ببلادـهم ^(١) .

وما كانت صلاتهـم ولا تزال : « اللهم اضرب بطوق عظيم لعنـنا ،
وأقضـنا جميعـا من أربـعة أقطـارـ الأرضـ إلى قـدسـكـ ، ردـ حـاكـمانـاـ الأولـينـ ،
إـمـالـكـ على جـمـيعـ أـهـلـ الـأـرـضـ ليـقـولـ كـلـ ذـيـ نـسـمـةـ — اللهـ إـلـهـ اـسـرـائـيلـ
قدـ مـلـكـ لمـ تـقـولـ الـأـمـمـ أـمـنـ إـلـهـمـ ؟ـ ، اـتـبـهـ ، لـمـ تـمـ يـارـبـ !!ـ اـسـتـيقـظـ منـ
رـقـدـتـكـ !!ـ » ^(٢)

الصهيونية

الصهيونية كـلـةـ مشـتـقةـ منـ جـبـلـ «ـ صـهـيـونـ »ـ القـائـمةـ عـلـىـ سـفـحـ مـدـيـةـ
القدسـ فـكـانـهاـ تـرـمـزـ إـلـىـ اـمـتـلـاـكـ هـذـاـ الجـبـلـ بـماـ يـحـيطـ بـهـ ، وـكـانـ عـلـىـ سـفـحـ
هـذـاـ الجـبـلـ مـدـيـةـ صـهـيـونـ «ـ بـيـتـ لـهـ »ـ رـمـزـواـ إـلـيـهاـ إـشـارـةـ إـلـىـ إـعـادـةـ مـلـكـ
داـودـ ، فـالـصـهـيـونـيـةـ فـكـرـةـ خـيـالـيـةـ سـيـاسـيـةـ استـعـمارـيـةـ ، تـعـملـ عـلـىـ تـكـوـينـ
دوـلـةـ يـهـودـيـةـ بـفـلـسـطـيـنـ معـ إـحـيـاءـ اللـغـةـ الـعـبـرـيـةـ وـالـدـيـانـةـ الـيـهـودـيـةـ :ـ وـيـدـنـاـ كـانـ
يـهـودـ مـشـتـتـيـنـ فـالـعـالـمـ ، رـأـواـ أـنـ الدـوـلـ الـأـوـرـيـةـ تـنـسـابـقـ عـلـىـ اـسـتـغـلـالـ
الـشـرـقـ وـاـسـتـعـمـارـهـ عـلـىـ حـيـنـ غـفـلـةـ مـنـهـ ، فـفـكـرـ رـجـالـ مـنـ الـيـهـودـ فـيـ الـعـمـلـ
عـلـىـ تـكـوـينـ دـوـلـةـ لـهـ فـيـ الشـرـقـ الـخـامـ ، وـلـكـنـمـ لـاـ يـسـتـطـيـعـونـ أـنـ
يـقـنـعـوـاـ سـوـاـ دـشـبـشـمـ إـلـاـ بـفـلـسـطـيـنـ الـتـيـ يـظـهـرـ فـيـهاـ مـسـيـحـهـمـ عـلـىـ زـعـمـهـ ،

(٢) بـذـلـ المـجـهـودـ .

(١) شـهـادـاتـ مـنـ ٤٥ .

في أواخر القرن التاسع عشر قام الدكتور هرتسيل الألماني بالدعوة إلى الحركة الصهيونية وألف كتابه الحكومة اليهودية وهو إنجيل الصهيونيين حتى اليوم ، ولا تظن أن الفكرة ناشئة من اضطهاد الأُمم لهم ، وإنما فقد كان في مجاهل إفريقيا أو في أمريكا الجنوبيّة أو استراليا ما يجمعهم، إنما الصهيونية فكرة خيالية دينية في نَوْبِ استعمارى ذليل والذلة أضحت جبلة فيهم لا يستطيعون عملا وإنما يتوجهون إلى دول يتملقونها بمسكتها وبذهبهم ، قال تعالى « وعبد الطاغوت ^(١) » .

وقد نشأت الحركة الصهيونية فكرة وهمية لا يمكن تحقيقها ، ولكن الإنجليز بدهائهم نفخوا فيها رغبة في تأييد استعمارهم .

ويحدثك الدكتور وايزمن رئيس الجمعية الصهيونية العالمية : —
« ما كدنا نباشر عملنا في سنة ١٨٨٣ في المؤتمر اليهودي الأول حتى جرب الزعيم الأكبر للحركة اليهودية الدكتور هرتسيل مفاوضة عظمة السلطان بشأن العودة إلى فلسطين ، ولما كان الامر في الحصول على شيء ملحوظ في يوم من الأيام من الحكومة التركية آخذنا في الضعف كان يأمل الزعيم « الصهيوني » أن يأتي يوم تُمد فيه إنجلترا يد المساعدة إلى اليهود .

في ذلك الحين سنة ١٩٠٢ عاد المستر تشمبرلن من رحلته في إفريقيا وعرض على اليهود بلاد أوغندا ، وبينما كانت حركتنا حينئذ لا تعتبر حركة واقعية ، ونرى أنها بعيدة جداً عن تحقيق أمالها ، إذ بنا نرى

(١) أي دول الغربان

أكبر حكومة في العالم تنظر إلينا بعطف واعتبار وتعرض علينا بلاداً واسعة خصبة الأرضى تقرب مساحتها من مساحة حكومة الانتداب أى ٨٨ ألف ميل مربع ، ومع ذلك فإنه حينما عرض هذااقتراح على المؤتمر الصهيوني أحدث ضجة كبيرة وأقام جدلاً عنيفاً ، وكان الرفض من أجل سبب واحد ، وهو أن هذه البلاد ليست فلسطين ، وقد اعتمدنا أن نرسل كتاباً للستر تشيرلى نعلن فيه شكرنا لاقتراحه وأسفنا لعدم إمكاننا قبوله على أمل أن يعرض علينا اقتراح آخر في أحد الأيام القادمة ، لقد صبرنا « ألفين سنة » وباستطاعتنا أن نصبر بضع سنين أخرى يتحقق الرب فيها وعده للشعب اليهودي ^(١) .

ولعلك أدركت أنها فكرة دينية خطيرة لإقامة مسيح متظر نفح فيها الإنجليز لأغراضهم الاستغلالية بينما رفضها الأتراك لأنهم يومنون بال المسيح عيسى ويدركون أن هذه الفكرة ستقضى على الأماكن المقدسة للمسيحيين والمسلمين في هذه البقعة الطاهرة التي لا يستقيم حالها — إلا بالعرب .

ولما قامت الحرب العظمى الأولى أظهر كبار الماليين من اليهود سباتهم الصفراء للمتحاربين مشترطين الاعتراف بالوطن القومى لليهود بفلسطين فانهزم الإنجليز هذه الفرصة وارتکبوا هذه الغلطة للأسباب الآتية : —

- ١ — استغلال المال في الحرب الطاحنة .
- ٢ — حياة إنجلترا معلقة بالهند ومفتاحها قناة السويس .

(١) ص ٤٥٨ شهادات .

فإن كانت قد احتلت مصر ووضعت الحياة عليها أثناء هذه الحرب وعلى جانب القناة الغربية فلم لا توجد سبباً آخر تختل به فلسطين شرق القناة إلى الأبد؟ .

وتوجد عنصراً مناوئاً من اليهود ذا آمال وهمية في مسيح منتظر «دجال» ولا بد أن يحدث اصطدام بين العرب من جهة واليهود من جهة أخرى لأنه لن يلتقي المسيح المنتظر وخيانات اليهود الوهمية مع حقائق المسيح عيسى ورسول الإسلام عليهم السلام .

وقد قطعت إنجلترا للملك حسين بصفته مثلاً للعرب عهوداً بقيام دولة عربية مستقلة تشمل فلسطين وسوريا والجهاز والعراق واستناداً إلى هذه العهود قام بثورته الكبرى ودعا إليها العرب فكان متطوعاً فلسطين من أول الذين انضموا إلى جيوش الثورة العربية التي توجه بالنصر بدخول الأمير فيصل بجيشه دمشق في خريف سنة ١٩١٨ بعد أن استولى اللورد اللنبي على القدس سنة ١٩١٧ بمساعدة فلسطين .

وانجلترا أيام الحروب أرحب ما تكون في اكتساب عطف الشعوب والتخفيف من ثأرتهم بالدعایات والوعود وترابها تحصر نشاطها في الظاهر بأنها تحارب من أجل الدول المظلومة وتصرف إلى المكيدة لإيقاع التناحر بين الشعوب المجانسة كما فعلت بالعرب مع الأتراك وقد مكنتها معرفتها بطبيعة الشرقيين من أن تجذب رجالاً أقوى يقفون في صفها ويكمون الأفواه وإنجلترا بارعة في دهائهم .

وقد كان من واجب العرب أن تعرف هذا الدهاء وهذه النعومة القاتلة وإنجلترا يملاً صدرها الحقد على الإسلام كبقية الدول الأوروبية

والأمريكية كما تراها تحاول القضاء على العزة العربية ولو في داخل الجزيرة بمال والذهب وبينما يقوم العرب بدورهم الكبير وإنجلترا تفاصفهم وتكتسب عطفهم بالوعود والتصريحات الرسمية كانت ويا للعار تعطى وعد بلفور للهود.

ولما وضعت الحرب أوزارها فوجيء العرب في فلسطين بصدمة شديدة وقعت عليهم كالصاعقة وذلك باطلاعهم على وعد بلفور وعلى محاولة فصل فلسطين عن سوريا التي هي جزء منها والتي تكون معها وحدة تامة في اللغة والتاريخ والجنسية والمصالح المشتركة وكانت الأحكام العرفية تحول بينهم وبين الاطلاع على ما يدبر عليهم في الخفاء وما يزيد في المشاكل اعتياد الإنجليزية الدبلوماسية العتيبة على صوغ المعانى في قوله من التعبير الغامضة المطاطة التي يسهل معها سوء الفهم وتحدى تفاسير متضاربة.

ومن أبرز الأمثلة تصريح بلفور وواضعه كما ترى قد تعمد اللعب على الحيلين والاصطياد في الماء العكر ، دبلوماسية بالية لا تسمح للعالم أن يرکن إلى السلام ، وإليك هذا التصريح المشؤوم .

وعد بلفور

كتاب أرسله اللورد بلفور وزير الخارجية البريطانية إلى اللورد روتشيلد يوم ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ وهذه ترجمته : —
عزيزى ... يسرني جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك أنها تنظر بعين الرضا والارتياح إلى المشروع الذي يراد به أن ينشأ في

فلسطين وطن قومي لشعب اليهود . وتفرغ خير مساعدتها لإدراك هذا الغرض ، ول يكن معلوماً أنه لا يسمح لـ إجراء شيء يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التي للطوائف غير اليهودية الموجودة فلسطين الآن ، أو بالحقوق التي يتمتع بها اليهود في البلدان الأخرى وبمركزهم السياسي فيها » .

إن هذا الوعد باطل فقد كان تشتت اليهود من فلسطين سنة ١٣٥ م ولم يبق لهم فيها وجود إلا حفنة لم تعش إلا بفضل التقاليد العربية ، وقد استقر العرب في فلسطين منذآلاف السنين وما زالوا هم أصحابها الشرعيون فكيف تصرف انجلترا في ملك الغير بهذا الوعد المشئوم أتريد أن يجعل المستحيل مكناً بإنشاء وطن قومي لليهود في بلاد عربية محاطة بالأقيانوس العربي من كل الجهات . لقد ساءت إلى العدالة وجعلت الأرض المقدسة بيته قتن دائمة ليس من المستطاع أن تهدأ مادام الشذوذ رائدها ، وإن التاويخ لم يرو حدثاً مثل هذا كأن الإصرار على هذه السياسة ليس في مصلحة المسيحيين أو السلم العالمي الذي ابتنى سياسة انجلترا الملتوية التي تدخل في ثلاثة مفاوضات مختلفة المقاصد على شيء واحد وفي وقت واحد وهذا ما حدث حول فلسطين ، فلسطين معترف بعروبتها واستقلالها مع الإمبراطورية العربية للشريف حسين في عهد مكياهون ، وفلسطين تصبح منطقة دولية في اتفاقية سيسكس يذكر التي عقدتها فرنسا وانجلترا لتقسيم الشام يجعل سوريا لفرنسا وفلسطين منطقة دولية لقربها من قنال السويس الشريان الرئيسي للإمبراطورية البريطانية ، وفلسطين ينشأ فيها وطن قومي لليهود بموجب وعد بلفور .

فلسطين واحد في ثلاثة أو ثلاثة في واحد في الوقت نفسه تلك هي وعود الغرب ، وهذه معاهداتهم التي تمزق وقت الكتابة لأنها سياسة قائمة على الغش والتسليس سياسة الألفاظ المطاطة الخداعية ، سياسة الحقد الدفين على العرب والمسلمين . أليس وعد بلفور وليد دبلوماسية مستترة غامضة لأن أملاها معقود على المقام في فلسطين بعد أن بدأ الضعف في مراكزها بمصر والعراق ، وهذه هي طريقتها منذ القدم . فهي إما أن تستقر الحركة الوطنية للإيقاع بها والقضاء عليها كافعلت بمصر أيام عرابي ثم احتلتها ، أو أن توجه الحركة الشعبية التحريرية عن أهدافها وتوجهها ضد عدو موهوم كالدولة العثمانية المسلمة لينصرف العرب عن النضال ضد الاستعمار . وما الصهيونية التي أتت بها إنجلترا إلا امتداد اقتصادي وسياسي للاستعمار ، والصهيونية حركة استعمارية لها ناحيتها الاقتصادية في تصدير الأموال البريطانية والأمريكية من فلسطين إلى الشرق لاستثمارها ولها ناحيتها السياسية في جمع أقلية كبيرة هم اليهود في بقعة من العالم العربي ليقفوا من الأهلين موقفا عدائيا فيحتاج إلى حماية الاستعمار ، ويبرر الاستعمار بقاء جيوشه في فلسطين والشرق العربي ، ولها ناحيتها الدينية فهي تجمع أناسا ليأخذوا قهرا أماكن مقدسة للمسيحيين والمسلمين لأنها كانت منذ آلاف السنين لهم فالصهيونية امتداد اقتصادي وسياسي للاستعمار يحب مكافحتها مع مكافحة الاستعمار ولا يجوز اعتبار أمريكا وإنجلترا وغيرهما حكما في النزاع بين العرب واليهود لأن الاستعمار مبعث قوة الصهيونية كما لا يجوز اعتبار الصهيونيين حلفاء العرب في مكافحة الاستعمار لأن

ثورتهم عليه ليست من أجل التحرر منه ، بل ليزيد من تأييده لهم .
إن كفاح العرب الوطني الصحيح كفاح موجه ضد الاستعمار
والصهيونية معاً في آن واحد ، ويريد الإنجليز حصر الحركة الوطنية
في فلسطين في قع الكفاح ضد الهجرة الصهيونية التي ابتدعها بأساليبه
وصرفها عن النضال من أجل التحرر ليثبت قدميه بالقرب من القناة
والبحر الأبيض المتوسط فليس قضية فلسطين قضية مكافحة الهجرة
لا غير ، بل قضية التحرر من الصهيونية والاستقلال معاً .

فلسطين تكافح

بعد الحرب الكبرى الأولى اشتغل كل قطر عربي بإزاحة كابوس
الاستعمار الذي دهمه ، ولم تصب بلدة من بلاد العالم بما أصبت به الأرض
المقدسة من نكبات وويلات جاءتها عن طريق تصريح بلفور
والصهيونية ومن ورائهم الانتداب ، وكان هذا التصريح وال الحرب قائمة
والأحكام العرفية معلنة والأفواه مكمة والأخبار مستورة ومبادئه
ولسن مشهورة ومواعيد انجلترا العذبة مبذولة وزعماء اليهود يخاطلون
ويموهون على العرب في بادي الأمر ويظاهرون بمسكتهم التي ضربت
عليهم وبذلهم إلى لزتمهم ويطلبون الرحمة بأولئك اليهود الذين شردتهم
بعض الحكومات الأوروبية وسادتهم الساسة البريطانيون يرسمون لهم
الخطط التي يدلّسون بها على السكان الآمنين فهي ترسل أولاً عدداً
محدوداً يهاجرون إليها حتى لا يشعر الأهالي بهم ويتهافتون على شراء
الأراضي صفقات من هنا وهناك . فانتبه العرب إلى الخطر المحدق

بهم ، وقضية فلسطين قضية عربية قومية استقلالية لا تختلف في جوهرها عن قضيّاً العرب وسائر البلاد العربية إلا بما ابتدعه الإنجليز من انتزاع العرب من أرضهم وإخراجهم من وطنهم وسلخه بدولة يهودية تكون مركزاً لها في الشرق الإسلامي وقرر صك الانتداب على فلسطين في ٢٤ تموز سنة ١٩٢٢ من قبل مجلس عصبة الأمم المنعقد في لندن وأدرج فيه وعد بلفور ، ولم يكن بفلسطين إلا العرب لا يحاورهم فيها إلا سبعة في المائة من اليهود يعيشون معهم في هدوء وأكثُرُهم من الشيوخ الذين كانوا يتظرون يوم البعث في أرض الميعاد ويقول « زمان » رئيس الجمعية الصهيونية العالمية : « .. كنت في زمن الحرب العامة في فلسطين وكان لي الشرف أن أكون بمعية اللورد اللنبي ورأيت أمام عيني اليهود الذين كان يقطنون يومئذ فلسطين شيخ في نهاية عمرهم أتوا إلى فلسطين ليقيموا الصلوات فوق ترابها المقدس ولبيتوا فيها ويحصلوا على قبر في أرضها المقدسة ^(١) .. » .

لقد وقفت فلسطين في حلبة مأساة مريرة يريدون أن يأخذوها لقمة سائغة لتصبح يدُّة يهودية إباحية إرهادية رأسمالية ويسمونها وطنًا قوميًّا ينطبع بطابع الشر إذ ما دفعته إلا المطامع الاستعمارية .

ويذيع اللورد اللنبي في ٧ نوفمبر سنة ١٩١٨ بيانه في جميع فلسطين « إن الغاية التي رمى إليها الحلفاء من خوض غمار الحرب في الشرق هي تحرير الشعوب التي تحت حكم الأتراك وتأسيس حكومات وطنية تستمد سلطتها من رغبة السكان الوطنيين ومحض اختيارهم وأنه ليس

لبريطانيا ولا لفرنسا أى قصد في وضع نظمات خاصة لحكومة هذه الأقطار».

وصرح بلفور نفسه لفلسطين باستقلالها وطمأنها وعقد مؤتمر الصلح فولد عصبة الأمم التي قررت مبدأ تقرير المصير ومبدأ الاعتراف باستقلال البلاد العربية المنسلخة من الدولة العثمانية بند (٢٢)، وألغت المادة «٢٠» منه جميع المعاهدات السابقة المناقضة لمبادئه، هذا العهد ومن أجل ذلك أوفدت لجنة كرام إلى فلسطين للاستفتاء فكان الإجماع منعقداً على الوحدة العربية ورفض الهجرة الصهيونية ولكن انجلترا صحت أذنها ومضت في بنىخ فلسطين ومنحها للصهيونيين فأدججت صك الانتداب مع وعد بلفور سنة ١٩٢٢ بواسطة عصبة الأمم «جامعة اللصوص» ونسخت العهود والوعود.

وال التاريخ لم يرو حادثاً مثل هذا وإنجلترا معنته في ظلم وإجحاف العرب مع خضوعها للمطامع اليهودية ومنحهم امتيازات ومعاملتهم بالتحيز والمحاباة.

وقد عينت الحكومة البريطانية لجان تحقيق عديدة في أزمنة مختلفة للنظر في ظلامات العرب ولكنها لم تسفر عن شيء وبسبب نفوذ اليهود ودعایاتهم في الخارج وصلاتهم بالحكومات الكبرى بالمال ولأن إنجلترا تريدبقاء هذه الفتنة في هذا القطر الشقيق وآية ذلك أن الانتداب معناه وجود حكومة وطنية تقوم بشؤون الحكم ، بجانبها حكومة الانتداب تساعدها وترشدتها إلى الوقت الذي تتمكن فيه تلك الحكومة الوطنية من الوقوف بنفسها أما في فلسطين فهناك الإنجليز يحكمون من غير

حكومة أساسية من أهلها على عكس ما وقع في الأقطار العربية الأخرى وذلك لتنفرد إنجلترا بالحكم في هذا القطر المقدس وتستر وراءه وعدا تنفذه لليهود في أرض لم تكن أرض أيهما ولم يكن لها فيها شبر حين قطعه، ولأجل مال اليهود يضعون فلسطين في حالات إدارية واقتصادية وسياسية تسهل إقامة وطن قومي كما تنص المادة الرابعة من صك الانتداب على إقامة وكالة يهودية لمساعدة الحكومة وإرشادها وكأنهم أوجدوا حكومة يهودية تشرف على الحكومة الإنجليزية المنتدبة وحرمت العرب من الحكم الذائي.

إن قضية فلسطين قضية حرية واستقلال وإنجلترا تحاول أن تلبس سياستها المضحكه ثوباً جذاباً فتجعل هذه البلاد المقدسة بلاد فن داميه من المستحيل أن تهدأ ، ألمثل هذا و جداً لانتداب ولكن أهل فلسطين لم يهنو ولم يستكينوا بل عقدوا المؤتمرات وكافحوا وأوفدوا الوفود إلى لندن لإلغاء هذه السياسة والمطالبة بالوعود حتى أن مجلس اللوردات أصدر قراراً سنة ١٩٢٢ بوجوب الرجوع عن هذه السياسة ووضع دستور لفلسطين يتفق مع رغبات العرب والوعود المقطوعة لجلالة الملك حسين ولكن إنجلترا لم ترعو حباً في الذهب البارق وتبثيتا لاستعمارهم في هذا المكان الممتاز .

ولقد كانت تهز البلاد حوادث تؤدي إلى اضطرابات حتى كادت تشمل البلاد وتعتمها سنة ١٩٢٩ وكل اضطراب ترسل إنجلترا لجنة تحقيق فتكتب بعد التحري والسؤال والجواب تقريراً خلاصته .

« فلسطين للعرب » غير أن هذه التقارير هي بمثابة مسكن لاتلبث
أن توضع على الرف .

ولكن العالم الإسلامي كان قد بدأ يفيق من اللطمة التي صدمته
من الاستعمار ، وكاد يجمع شمله بعد أن مزقته يد الغاصبين . وقد عقد
رجالات الإسلام مؤتمراً إسلامياً عاماً في القدس سنة ١٩٣١ .
وفي سنة ١٩٣٣ أزدادت حركة الهجرة وأخذ الخطر يتجمس أمام
العرب فقاموا بمعاهرات ولكن الإنجليز أوقعوا بمجزرة فظيعة بهم .

ثورة سنة ١٩٣٦ في فلسطين

مشكلة فلسطين مشكلة عقيمة خلقتها سياسة الاستعمار . وستجر على
الإنجليز والصهيونيين معاً الدمار ، لأن الأرض المقدسة للعرب الآخيار
لا للصهيونيين الإلهائيين الأشرار ، والعربي قوى شجاع لا يألف المسكتة
والاتضاع وما دام الإنجليز قد قلبوا الأوضاع فلن ينتهي هذا الصراع
إلا بفناء الصهيونية ، وطرد الامبراطورية ، والعرب لا يرضون بالدنية .
ولما زادت الهجرة ونشطت حركة شراء الأراضي واستورد اليهود
السلاح رأى العرب سنة ١٩٣٤ أن يلجأوا إلى المفاوضات عند الإنجليز
 أصحاب المذاهب وأخيراً لم يجدوا غير زحرف من القول . وتسوييف
يحرر هولا ويراء هول فلم يجدوا بدأ من أن يهوا بهبة رجل واحد يذودون
عن حياضهم ويدافعون عن عربهم وأطلقت الرصاصة الأولى من
البطل اللاذق عن الدين وكان من سوريا ضيقاً على أهل فلسطين وألف
أول عصابة كان فيها من المستشهدين بعد أن نكل بالمستعمرين ولكنه

أعطى درسا للجماعات بأن الكفاح لا يكون بالمذكرات والاحتجاجات إنما بالجهاد والقتال . وبذل الدم والروح والمال ، واتجهت الأنظار إلى تنظيم حركة العصيان المدني ، فتألفت اللجنة العربية العليا في ٢٥ إبريل سنة ١٩٣٦ وأصدرت هذا القرار :

١ - الاستمرار على الاضراب العام إلى أن تبذل الحكومة سياستها المتّعة في فلسطين بديلا أساسيا تظهر برادره في وقف الهجرة الصهيونية .

٢ - ستعمل اللجنة مع الأمة مستمدّة من وحدها وصادق عزّمها على تحقيق المطالب الأساسية التي لاقت انتصاراً تطالبه بها بقوّة وهي :

(أ) منع الهجرة اليهودية منعاً باتاً .

(ب) منع انتقال الأراضي اليهود .

(ج) إنشاء حكومة وطنية مسؤولة أمام مجلس نواب .

٣ - وتنهى اللجنة هذه الفرصة لتحيي أرواح الشهداء الذين سقطوا صرعي الظلم وتشكر للأمة الباسلة عزّمها الصادق على بذلها شتى التضحيات لتحقيق مطالبها . وتعاهد اللجنة الأمة الكريمة على السير في الطليعة فيما اعزمته من كفاح شريف عادل وعلى الاستمرار فيه إلى النهاية .

وتحولت الحال في الأراضي المقدسة من مطالب إلى مظاهرات إلى إضراب إلى عصيان مدني إلى ثورة مسلحة هاجروا فيها الحكومة الإنجليزية ونازلوها . فكان ذلك بهذه الثورة الحقيقة التي أدهشت العالم وكانت للعروبة صفحة مجد جديدة في تاريخهم . وأقبل الشباب العربي إلى القطر الشقيق من جميع الأقطار ، يدافعون مع إخوانهم

العرب الأحرار ، عن الإرادة المقدسة مسرى النبي المختار ، وأقبل المجاهد البطل فوزى بك القاوقجي من العراق مع إخوانه يجاهدون ، وجاء شباب الشام من سوريا ولبنان لشد أزر إخوانهم الفلسطينيين وكان العالم العربي جميعه يحذب على هذا القطر المجاهد ويرقب أخباره ويتهافت الأهلون في سوريا ولبنان وال伊拉克 ومصر وطرابلس وتونس والجزائر ومراسلون على قراءة الجرائد يتبعون أخبارها وباستماعهم إلى المذيع تنبض قلوبهم مع إخوانهم المجاهدين كانوا يذلون الإعانت لهذا الشعب الصغير الرائد عن كيانه ذلك الشعب الذي أذهل العالم في بطولته ورجوليته وإقدامه وكانت الصحافة العربية على اختلاف الديار تدافع عنهم وتدعوا إلى تأييدهم وكذلك شأن الجمعيات والهيئات العربية فقد وقفت صفاً واحداً في جانبهم .

وفي خلال مدة الإضراب حاول نوري السعيد وزير خارجية العراق التوسط في حل المشكلة باسم ملوك العرب وكاد الإضراب ينتهي لو لا أن اليهود قلقوا لهذا الاهتمام الذي يبديه ملوك العرب وأقطابهم بقضية فلسطين . فأثاروا ضجة عنيفة في إنجلترا واحتجوا على الحكومة الإنجليزية لقبو لها وساطة ملوك العرب . فما كان من وزير المستعمرات إلا أن صرخ في مجلس العموم أن الحكومة الإنجليزية لم تكلف نوري باشا السعيد ولم تتوسط ملوك العرب ، وهكذا لعبت السياسة الإنجليزية كدأبها مما نفع في الثورة روحًا جديدة أشعلتها .

وفي هذه الآونة أعلنت الحكومة الإنجليزية أنها عينت هيئة اللجنة الملكية برئاسة اللورد ديل . لتحقيق مسألة فلسطين ، واشترطت المددوه

ولكن العرب أبو الرجوع عن الثورة، قبل صدور الأمر بوقف الهجرة. ثم عاد ملوك العرب وكلفوا نوري باشا السعيد بإعادة الكرة، والتوسط بإيقاف الإضراب والثورة ولكن العرب الذين لم يشقو بوعود الإنجليز ظلوا مضربي ثائرين فاضطررت الحكومة الإنجليزية إلى إرسال الملجنة الملكية فوصلت القدس في ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٣٦. وبينما كان العرب يتحفرون لأداء شهادتهم، أمام هذه اللجنة التي حلت بأرضهم وإذا بإنجلترا تذكر بهم، وترخص لآلاف وثمانمائة من الصهيونيين، في ستة شهور بالهجرة إلى فلسطين فأضرب العرب عن أداء الشهادة، احتجاجاً على هذه البلادة إذ عدوها تحدياً للشعور في هذه المدينة، وقد كانوا قد وعدوا بإيقاف الهجرة تسكيناً للفترة، إلى أن يصدر تقرير هذه اللجنة، فأرغمت الحكومة البريطانية على توسيط الدول العربية، التي أقنعت عرب فلسطين بالاتصال باللجنة الملكية وبسط قضية العرب ومطالعهم الشرعية.

ظلت ثورة فلسطين ستة شهور من ١٢ أبريل سنة ١٩٣٦ وانتهت يوم ١٢ أكتوبر سنة ١٩٣٦ بعد أن أزهقت فيها أرواح وامتلات بسيها سجون، وتحمل العرب كوارثها بقلوب ملؤها اليقين، كفاحاً أمام هذا الخطر المعن، وكم أريقت دماء، وكم رملت نساء، دفاعاً عن كرامة الوطن العزيز، وجهاداً ضد الصهيونية والإنجليز وتقدمت الهيئة العربية، أمام الملجنة الملكية، للدفاع عن الشعب الفلسطيني، يتقدمهم زعيمهم المجاهد السيد أمين الحسيني وأدلى كل واحد بحجج دامغة، وأبانوا أن فلسطين ليست لقمة سائفة إنما أهلها عرب منذ بدء الخليقة.

والقدم ، فكيف تتجزأ إنجلترا بالذم وتخلق مشكلة من العدم ، وتساير الصهيونية وخياها وتعطيها أرضا ليست لها ، وتخرج منها أهلها .

وتنجح الهجرة إلى فلسطين برخصة وتسميتها هجرة شرعية ، لأن الأرض المقدسة بلاد إنجليزية ، وفي سبيل المال كفرت بال المسيحية ، وجاءت بشذاذ الآفاق يعلنون الإباحية ، ويدنسون كنيسة القيامة وبخيرة طربة وتتظاهر أمام الدول الأوربية والأمريكية ، بأنها تعطف على الطائفة اليهودية ، على حساب الأمة المسلمة العربية ، بينما عرب فلسطين قائمون على حماية الأماكن المقدسة للعالمين ، ويقول سيادة المطران غريغوريوس الحجار في شهادته أمام هذه اللجنة في ١٧ كانون الثاني سنة ١٩٣٧ : « الخلاف في فلسطين ، هو أعمق مما تظنون ، بين العنصر الفلسطيني العربي ، والعناصر الصهيونية . قلت العنصر الفلسطيني العربي ، وهو يضم مسلمي ومسيحيي فلسطين وغيرهم من ذوى المذاهب الأخرى الذين تجمع بينهم روابط الدم واللغة .

ثم قلت إن الاختلاف بين العنصر العربي ، وبين العناصر اليهودية ذلك لأن اليهود هنا ليسوا من عنصر واحد ولا من دم واحد ففهم بولونيون وروس ، وتشككوا سلوفاكيون وأفريقيون وإنكليز وأمريكان وألمان ...

ولا تجتمعهم إلا رابطة الدين ، ولذلك لا نفهم معنى الوطن القومي الذى وعدوا به : أى قومية يأتى يعنينا الوعد ؟ أهى الإنكليزية أو الفرنسية ... ؟ فقد اعتاد الخلفاء أن يراعوا القومية والجنسية فى تقسيم البلدان . أما هنا فالجنسيات متباينة بل متعددة ، وهم يريدون

أن يجعلوها قومية واحدة !! ! لكي يرتكبوا مظلمة تاريخية فاحضة !!
ولا أظنكم إلا موافقين على أنه لا يوجد شعب يهودي في العالم ،
ولو سأنا بلوم رئيس وزارة فرنسا ، وهربرت صموئيل من أي جنسية
هما ؟ لأجاب كل منهم بالانتماء إلى الأمة التي تحكمها ، فاليهودية إذن في العالم
ليست هي إلا دين الإسلامية واليسوعية ، ووعد الحلفاء إنما هو
لليهودية الدينية ، لأن من كان يهوديا وتنصر أو أسلم يحرم من ثمرات
وعد بلفور ولو كان ابن إبراهيم ومن نسل داود والعكس بالعكس ،
ومع أصبحت فلسطين لدين واحد . فالم نطاق يقضى بأن يكون كل أصحاب
الأديان الأخرى غرباء فيها فإذا ذهبوا يصبحون بقوه هذا الوعد أصحاب
البلاد ونحن نصبح كزوج أمريكا ، وهل هذا يأتى يكؤن عادلا ؟
يجيبني الكثيرون على أنه منذ ألف سنة كانت أمة تسمى اليهودية ساكنة
في فلسطين على حين أن هذه الأمة لم تملك إلا قسما من فلسطين ، ملكا
متقلقا ، وفضلا عن ذلك فإن القسم الأكبر من يهود عصرنا ليسوا من
الأمة القديمة المتدينة إلى يعقوب وداود . فال التاريخ يخبرنا أنه في القرن
الثانى لل المسيح قد اعتنق اليهودية سبعمائة ألف من الوثنين التتر فى روسيا
وهنالك كما أظن أصبحوا فى خلال ١٨٠٠ سنة لا أقل من خمسة إلى
سبعة ملايين من عشرة ملايين ، تعدها الأمة اليهودية ولا يمتدون إلى
يهودية داود بقرابة إلا الصلة الدينية ، فرابطهم بهذه البلاد التي تجذبهم
إنما هي نزعة دينية محضة ، ولكن هذه النزعة لا تتحملها ولا يمكن
أن تتحملها الديانات الإسلامية واليسوعية فالديانة اليهودية تضم الآن
عشرة ملايين والإسلامية أربعمائة مليون واليسوعية ثمانمائة مليون ، وهي

تصطدم معهما أصطداماً عنيفاً لا لين ولا هوادة معه .

إن اليهود يطمحون إلى الهيكل السليماني وهو غايتهم الأخيرة لأنهم
بدونه لا يستطيعون أن يقدموا ذبائح وضحايا ولا يكون لهم كهنة .

أستطيع أن أقول إن فلسطين بدون الهيكل السليماني لا قيمة لها
في نظرهم ، بيد أن هذا الهيكل هو مقدس من أجل المقدسات الإسلامية
وثلث الحرمات ، وكل مسلم يتغافل في الدفاع عنه في أي بقعة أقام .

هذا من الجهة الإسلامية ، أما من الجهة المسيحية : فاليهودية تطلب
هذه البلاد كأرض الموعدها ، لكن الدين المسيحي يحبيب قائلًا إتنا
نحن إسرائيل الجديد . نحن أبناء إبراهيم بالموعد ونحن حلتنا محل
اليهودية القديمة .

وفلسطين كأرض الموعد من جهة ديلية نرى أن المسيحيين ينazuون
اليهود فيها وزد على ذلك أن الدين المسيحي يقول لليهودي إن روابطك
بفلسطين أقوى جداً من روابطك ، والدين المسيحي يعترف بالإخاء
البشرى العام وبالمساواة بالحقوق أما الدين اليهودي فلا .

أما المقدسات المسيحية فلم تهتك حرمتها للآن بطريقة واضحة لكن
ما قولكم إذا كانت هذه المقدسات محاطة بمن يرونها كما نرى نحن هيأكل
الوثنيين ولذلك تفقد قدسيتها ، وهذه النظرية قد كانت الحكومة العثمانية
حضرت على كل يهودي أن يمر أمام كنيسة القيامة ، بل إن فلسطين كلها
تسمى الأرض المقدسة باللغة المسيحية ، وعند ما يصل الزوار إلى شواطئها
يركونون ويقبلون الأرض .

أما استعمال ديانتنا وإكرام رؤساء ديننا فقد كان مضموناً

بالمميزات التي منحنا إياها سلاطين آل عثمان وخلفاء المسلمين ، ومع ذلك فذات يوم على أثر تجديف على قذف به أحد اليهود مسيحنا شيئاً أن نعمل (ذباحاً) دينياً بحسب مراسيم عوائدها بين كنائسنا فصدقنا الحكومة بالقوة وأجبنا الحكم : « نخشى أن يعتدى على شعوركم الديني أحد اليهود » ثم أن بطريركنا ، شاء أن يقوم بزيارة دينية رسمية لأول مرة لفلسطين ، وكان علينا بحسب عوائدها الدينية أن نمر أمامه بموكب ديني مع الصليب ، فعننا أيضاً للسبب نفسه .

ولما شاء أن يقوم البطريرك من حيفا إلى يافا رأساً أوجب عليه الحكم إلا يجعل طريقه بتل أبيب « المستعمرات اليهودية^(١) » وأيداه حضرة القس إلياس راعي الطائفة الإنجيلية العربية وقال أمام اللجنة : « أؤيد ما قاله سيدادة المطران حجار وأوجه نظر اللجنة إلى أن تجربة الوطن القومي تجربة خطرة إذ أنها تحاول التجمع بين عقليتين مختلفتين متناقضتين من جهة المقاصد ومن جهة الأخلاق والآداب ومن حيث القوة والضعف مالا وكفاءة ، وبستظل مسألة الوطن القومي مصدر خطر وقلق ، كما برهن على ذلك تاريخ البلاد وطالما السياسة الحاضرة سائرة ستظل المتاعب للحكومة والعرب واليهود معاً ، وعلاوة على هذا إن ما قد شاهدناه حتى الآن من المهاجرين ينذر بخطر على الآداب ، وهذا معلوم من انتشار المبادئ الشيوعية واللامادية وفساد الأخلاق^(٢) ». وبعد أداء الشهادات قدمت عدة مذكرات ، وأنجزت اللجنة الملكية

• (٢) ص ٣٢٤ شهادات .

(١) ص ٦٢ شهادات .

مهمتها وعادت إلى بلادها في ١٨ يناير سنة ١٩٣٧ وعكفت على وضع تقريرها الذي ظهر يوم ٨ يوليو سنة ١٩٣٧ وكان كفار تخض عنهم جبل ، ومشروعًا صيغ من أغراض وعلل ، يقسم فلسطين أقساماً ثلاثة فهلرأيت بعد هذا مغالطة وسخافة ؟ وجعل للعرب الأرض الصحراوية ومنح اليهود الجنة الساحلية . وربض الإنجليز بالأماكن القدسية .

وهذه سياسة مبنية مطبوعة يخونها لتسكين الحركات الثورية وينشئون جاناً ومؤتمرات كفلم للتسلية ، يكتسبون به الوقت ويعمدون إلى التعميمة وليس سياسة إرسال اللجان إلا من قبيل تخدير الأعصاب ، وإلا فهل يحتاج إلى دليل هذا الاغتصاب ألم يوفدوا إلى فلسطين منذ احتلالها ١٨ لجنة للتحقيق ، ولم ينتج عنها أية فائدة للقطر الشقيق بل كانت الحال تحول بعد صدور تقارير اللجان عنها ، من حال إلى حال أسوأ منها طبقاً للخطة الاستعمارية المرسومة ، والسياسة الخاتمة الغشومه وقابل عرب فلسطين تقرير اللجنة الملكية بالوجوم والاستئنار ، لأنه قضى بتجزئته بلادهم الصغيرة الرقعة إلى ثلاثة أجزاء .

وأجمع العرب في جميع أقطارهم على استئنار التقسيم ورأوا فيه أدلة جديدة لتزييق بلادهم فعقدوا العزم على مقاومته ، وكان العراق أول من استئنر هذا التقسيم اللعين . ولبي نداء فلسطين ، ورد حكمت بك سليمان رئيس الوزارة العراقية على سؤال لجريدة البلاد البغدادية عن مشروع التقسيم فقال :

« لا أجد كلمة تكفي للتعبير عما ساورني من ألم مرير لدى اطلاعي

على تقرير اللجنة الملكية الذي جاء في يوم تتطلع فيه الأمة العربية إلى المستقبل بأمل باسم وتجيش العزة القومية في صدر أبنائها.

وكان على اللجنة الملكية أن تنظر كيف اقتحم هؤلاء اليهود عرين الوطن العربي ، فقد طعنت بهذا القرار كل عربي وكل مسلم وكل شرقى في الصميم باغتصابها أرضاً عربية يقطن فيها أهلها العرب من آلاف السنين .

ولا يسعنى بصفى رئيس حكومة عربية ، إلا أن أطلب إلى أبناء الأمة العربية أن يؤازروا فلسطين بكل قواهم ، فقد دنت الساعة التي يجب فيها على العرب أن يكونوا يداً واحدة وجسمًا متحداً فإن حق الأمة العربية صحيح جداً وهو لا يقبل التجزئة ولا التقسيم أما إذا مضت إنجلترا وقسمت فلسطين وألحقت جزءاً منها بشرق الأردن ، فلا أعتقد أن هناك شخصاً يرضى بأن يتولى رئاسة هذا الجزء المقطوع من قلب العرب إذ يصبح مقوتاً .

ونهضت سوريا لتأيد أختها ، واستنكرت بكل قواها تقسيمها واستعدت للدفاع بكل قواها ولأول مرة في تاريخ الحجاز قامت مظاهرات احتجاجاً على التقسيم واستنكاراً له ، ومصر بآجمعها شاركت فلسطين في شعورها ومتطلباتها واحتاجت على تجزئة الأرض المقدسة وتمزيق ربوعها وعقدت لجنة الدفاع عن فلسطين في مصر اجتماعاً مساء ١٠ يوليو سنة ١٩٣٧ في جمعية الشبان المسلمين وأصدرت هذا البيان :

لما كان تقرير اللجنة الملكية يشير بتقسيم فلسطين إلى ثلاثة مناطق جعل إحداها خاضعاً للانتداب البريطاني الأبدى بشرط أن تحول هذه

المنطقة ، بعد زمان إلى اليهود ، وتبسط سلطانهم على الأماكن المقدسة عند المسلمين والنصارى .

وجعل المنطقة الأخرى تتألف دولة يهودية تشمل أغلب الساحل الفلسطيني وتمتد إلى أقصى بقاع هذه البلاد التي بقيت في أيدي المسلمين منذ الفتح الإسلامي إلى اليوم وأغلبية سكانها الساحقة من العرب .

ولما كان من طبيعة هذا التقسيم أن يخلق دولة يهودية تتالف من لفظتهم دار الغرب ، وهم مختلفون في عادتهم ولغاتهم ويدينون بأراء متطرفة يتوفّر فيها الخطر الاجتماعي على أهل فلسطين والأقطار العربية المجاورة لها .

ولما كان قيام هذه الدولة اليهودية بجوار مصر يعتبر خطراً يهدّد سلامتها كإنه سائر الأقطار العربية الشقيقة قررت اللجنة :

اعتبار مسألة فلسطين مسألة إسلامية خطيرة يفرض الدفاع عنها على كل مسلم لوجود المسجد الأقصى ولأن فلسطين مفتاح البلاد العربية » .

واجتمع مؤتمر عربي في بلودان (بجوار دمشق) في ٨ سبتمبر سنة ١٩٣٧ وخطب رئيسه ناجي باشا السويدي (من العراق) فقال :

أعتقد أن اجتماعنا هذا ليس لسبك الدلالات على حق العرب في فلسطين فهذا مسلم به .

لقد طرأ على السياسة الدولية تطورات مادية بعد الحرب جعلتها مادية أكثر منها معنوية وجعلتها تمنع الحق عن أمّة ليس لها قوة وتجعلها نهباً لأمة قوية .

فإذا أراد العرب أن يسمعوا العالم ما للعرب من حق في فلسطين

فيجب أن تكون لدينا قوة ندافع بها عن فلسطين ، وألفت بجان وووضع
قرارات سياسية ومالية ودفاعية .

وأرادت إنجلترا أن تلبس مشروع التقسيم ثوبًا دوليًّا إثناً فارسلت
تقرير اللجنة إلى عصبة الأمم التي هي كالشبح تحركها يد إنجلترا ، وسرعان
ما خفت الدول العربية إلى جنيف للدفاع عن قضية فلسطين وهم يحسبون
أن العصبة شيء فإذا بها كالسراب أو الظل وإذا بالإصبع الإنجليزي تحرك
هذه العصبة فتوافق على تقرير هذه اللجنة ، فعليها اللعنة ، ولكن الجهاد
العربي العظيم ، هو الذي ألغى مشروع هذا التقسيم .

الثورة وال الحرب العالمية الثانية

أدرك العرب ما يبيت لهم في الخفاء ، وأن الاستعمار داء والثورة
هي الدواء وأن الصهيونية وباء ، خلقته الأعداء ، فحملوا سيفهم البراء ،
وشنوا الغارات على المصووص النزلاء ، وأعطوه درساً بأن العربي ذو
كرامة وإباء ، لا يذل ولا تلعب به السياسة الخرقاء ، فهاج الأسد
البريطاني ، على الشعب الأبي ، ومن ورائه الصهيوني ، بالمسكنة والخزى ،
واقتحموا الأماكن المقدسة ، بسيوفهم الملوثة ، وكم من بيت عربي
خربوه ومن طفل صغير يتموه . ومن ظلم في غير بلادهم ارتكبوه ،
ولكن العروبة تغلبت على الأسد وأهانوه وداست الشيطان الصهيوني
وقيدوه فلم يجد الأسد غير المدافع الرشاشة يصوبيها ، والقنابل من الجو ،
يقذفها ، وهو يظن أنه سيأكل الثنرين ، ولكنه رجع بخفي حنين ، فقد
اندلع حبيب الثورة المباركة ، وأقبل إليهم من إخوانهم أسود فاتكة ،

وكان ورائهم أفقدة المسلمين متحركة ، وكانت ترى نساء الفلسطينيين
وشيوخهم بقلوب وأفواه ، يذلون الدماء والمهج بأرواح صادقة ، وكان
فوزي القاوجى البطل المسلم ، يقود كتائب الإسلام وينظم ، والمال
يفيض من كل مصر ومعدم والأرواح تستشهد وإلى الفردوس تتقدم .
قطبى لمن جاهد في سبيل الله ، وطوبى لمن هزم الأسد الفاتح فاه ،
وداس على التنين الصهيونى ومن حاباه .

وإذا ثبات عرب فلسطين في نضالهم ، رأت بريطانيا العدول عن
التقسيم برغبهم ، وأرسلت إلى فلسطين لجنة من جديد سنة ١٩٣٧ ، هي
لجنة وودهيد ، لبحث ما إذا كان مشروع التقسيم ممكن التنفيذ ، وأنت
أدرى بسياسة الانجليز .

وبعد أن مكثت هذه اللجنة في فلسطين مدة غير قصيرة تبحث
وتحصص وتحاول في أنحاء البلاد المقدسة ، فاحصة منقبة وتسمع إلى
آراء رجال الاستعمار الإنجليزى ، والصهيونية ذات الجيش الغربي ،
كانت نتيجة هذا البحث الاقتناع بفشل مشروع التقسيم ، فأوصت
بالدول عنه ليس حفاظاً لحق العرب واتباعاً للعدل والإنصاف في
معاملاتهم ، وإنما لأن مشروع التقسيم يتذرع بتنفيذها لعدة عوامل سياسية
واقتصادية وأعلنت رسمياً في الكتاب الأبيض الصادر سنة ١٩٣٩ أنه
مشروع غير عملي . ولذا فهى قد رأت لزاماً عليها أن تستنبط بدلاً من
التقسيم سياسة أخرى من شأنها أن تفي بما تطلبه الحال في فلسطين .

وهكذا قد طوى مشروع التقسيم وأسدل عليه الستار ، أمام هؤلاء
الجنود المجاهدون الثوار ، وقيدت الهجرة ووعده في بقىام دولة عربية

مستقلة بعد عشرة أعوام ، وقد رفض العرب الاعتراف بهذا الحل لأنهم يرون أنه مجحفاً بحقوقهم ومخيناً لآلامهم ، ولكنهم وقد رأوا بريطانيا في أخرج موقف في تاريخها كانوا أ nobel من أن يثوروا عليها وهي في صراع الحياة والموت أمام حرب هتلر الذي صب عليها العذاب بالسوط . ولما تکهرب الجو العالمي ، حاولوا اعتقال المفتي ، السيد أمين الحسيني ، فالتوجه الزعيم الأكبر الإسلامي إلى جامع عمرو بالقدس ، غير أنه ما كاد يقف على نيات البريطانيين باقتحام المكان المقدس ، بيت الله العلي الأقدس ، حتى غادر سماحته المسجد خوفاً على حرمة هذا المكان ، والتوجه إلى القطر الشقيق لبنان ، وما إن نشب الحرب حتى ألح البريطانيون على الفرنسيين بتسلمه ، فقرر أيضاً المفتي السفر إلى العراق ، ومنه ذهب إلى إيران وحاول أن يبارحها إلى تركيا غير أن هذا الباب أغلق في وجهه ، ولم يبق أمامه بعد ذلك أى أرض إسلامية وعربية يقصد إليها فاضطر إلى دخول الأراضي الأوروبية التي يسيطر عليها الألمان ، وما التوجه إلى ألمانيا في خلال الحرب إلا لأنه كان أمام أحد أمرير الاعتقال أو النفي ، ولم ينس وطنه بل ظلل يذيع عليهم ما ينفع فيهم روح الوطنية الصادقة والدفاع عن الوطن المقدس .

ولم يكن موقفه تجاه بريطانيا أو أي دولة أخرى إلا متوقفاً على سياستها تجاه فلسطين بصفة خاصة والعالم الإسلامي بصفة عامة ، وقد وصفوا سماحته بأنه عدو بريطانيا اللدود في الشرق الأوسط ، والحق أنه لا يضمّر عداوة لأى جنس أو شعب وإنما ما كادت تمضي فترة وجيزة على احتلال بريطانيا لفلسطين سنة ١٩١٧ حتى اضطر عرب فلسطين

إلى الاشتباك في منازعات مع بريطانيا والمسئول عن ذلك هم البريطانيون بسياستهم القائمة على وعد بلفور الذي يرمي إلى استيلاء الصهيونيون على أرضهم وتحويلها إلى دولة يهودية .

ولا ريب أن موقفهم من هذه المنازعات ، هو موقف أصحاب الحق والدعوى ، حتى اضطروا أن يتخدوا موقفاً طبيعياً للدفاع عن النفس الأمر الذي يدفع أي أمة أخرى تعرض أراضيها للخطر وحرتها للفناء إلى اتخاذ الموقف نفسه .

وفي إبان الحرب التزم العرب السكينة أمام إنجلترا وساعدوها بكل ما استطاعوا ونسوا ما بينها وبينهم وإنجلترا متذيع وتوكل بأنها تحارب من أجل الشعوب المظلومة وتعد بأنها ستتصحح أخطاءها فيأخذ كل شعب حقه في الحرية والحياة . وهكذا يعيد التاريخ نفسه ، وتعيد إنجلترا إسطوانة الحرب الأولى ، وإنجلترا هي هي في أسلوبها السياسي .

ولما تعهد العرب بوقف الثورة بروا بعهدهم ، وتركوا لليهود الاستغلال الدفء بالدس والكيد في الظلام وتنظيم الجماعات الإرهابية وتدوير الألاعيب السياسية ، وتحت ستار الحرب كانت لهم تشكيلات عسكرية ، واستحوذوا على معامل أسلحة وقنابل يدوية ، ثم قاموا بتبعة هائلة اقتصادية في السوق السوداء لامتصاص الدماء البشرية ، وقاموا بهذه الحرب بأرباح الملايين ليستغلواها بزعمهم في امتلاك فلسطين ، كذبوا والله فإنهم سيخرجون منها مشتتين ، ولن تقوم لهم قائمة بعدها إلى يوم الدين .

وتراثهم قد شكلوا تشكيلات سياسية دبلوماسية ، في سبيل التأثير على

الرأى العام في البلاد الديمقراطية ، يستغلون المال معبودهم في الحركات الانتخابية ، كما فعلوا بالولايات المتحدة الأمريكية ، وشهر وأقوى سلاح من الدعاية الوهمية ، وأنشأوا الجمعيات وضللو الصحافة العالمية ، ففي يقوم العرب بتنفيذ أضاليلهم ، ويطلعون العالم على أباطيلهم أرسل يهودي أمريكي كبير وهو مستر سولزبركر صاحب جريدة النيويورك تيمس إلى الدكتور سافر أحد أقطاب الصهيونية في أمريكا : «... كل ما أطلبه هو حق التكلم عما يجري في فكري بدون أن ينصب على وابل من التلفيقات الموجهة ضدي فهذا هو ما حصل بالفعل » .

وما هو جدير بالذكر أن النتيجة كانت أن تحولت من رجل حيادي تجاه الصهيونية إلى رجل مضاد لها ، وأعتقد أساسا أنه من الحكم السقيم أن تعهد مسؤولية تشكيل دولة إلى جماعة تعمد قلب الحقائق وتشوّهها جماعة تعمل على تحطيم بحايا الأشخاص الذين يختلفون وإياهم في الرأى ، أو تحطيم سمعة الصحف التي تنشر ماتريد الجماعة تعطيله ، فإني أعارض أساليب جوبلن سواء كانت هذه الأساليب في ألمانيا النازية أو في غيرها^(١) ، وإن تعجب فعجب استغلال الصهيونية ، مأساة اليهود في ألمانيا وشرق أوروبا ، في أغراضها ودعایاتها ، لتضليل الرأى العام في قضية فلسطين ، فهل حل مشكلة إنسانية ، لا يأتي إلا بهضم الشريان الرئوى للبلاد العربية ، وهل ينكل هتلر بالأمة اليهودية ؛ فتعطيلهم الدول الكبرى فلسطين ، ترضية ؟ ، كأنهم يرضون شعرا على حساب أمة مضرية ، ولا عجب فإنهم يذيعون بنا أن العرب أمة همجية ، طردونا من أرضنا

بوحشية ، ونحن أكثر منهم مدينة ، فهل تردوننا إلى بلادنا الأصلية
وهكذا يلعبون بالعقول الغريبة ، البعيدة عن إدراك الحقيقة الواقعية ،
فهي تكون لنا دعاية حقيقية في الملك الديمocrاطية ؟ ألا تراهم يتخدون
من أفكار القوم عن الإسلام في القرون الوسطى ، فيصوروننا بأننا
نعبد محمدًا ولنلعن المسيح والعدرا ، وهم الذين يعبدون المال ويقذفون
المسيح بالتهمة الكبرى ، وينظرون إلى النصارى جميعاً كعباد أوثان ،
ويتتظرون مسيحاً من نسل سليمان ، لأن المسيح عيسى لم يرضهم ومسيحيهم
أنقل في الميزان ، ويقولون للأمريكان سنكون لكم المركز في الشرق
الأوسط ، وللانجليز سنخفر لكم البحر الأبيض المتوسط ، وللروس
نحن سننشر الشيوعية ونبسط ، وهكذا نرى التنين الصهيوني أمام الجميع
يلغط ، وهو في دعاياته الكاذبة كالعشواه يختبط ، ويطن في نفسه دولة
تبيد النصرانية وتذل الإسلام وتشطط ، ولم يعلموا أن العروبة حجر
 المقدس كل من يطمع فيه يسقط ، ويقولون لعشاق المدينة ، انظروا إلى
مستعمراتنا الموذجية ووازنوا بينها وبين أ蔻اخ العرب البدوية ،
ولم يدرروا أن العربي يفخر بحر بيته ولو على العراء ؛ فما فائدة قصر أخذ
من الوطن ويعطى للأعداء ، فالحرية الحرية والجلاء الجلاء ، وإلا فهنا
مقبرتك يا أعداء السما .

الإرهاب الصهيوني

لم تذكر أن الإرهاب ، كان السبب في تشتت اليهود والخراب ،
بعد أن لوّوا الأرض المقدسة بالدماء والحراب ، وتساقطت القتلى في

الميكل والمحراب ، وكان الإرهاب في القدس مبدأ كل الأحزاب ، فلماذا
تعجب اليوم من هذا الإرهاب ، وإذا عرفت أن اليهودي وحش إذا
ملك ، عثا في الأرض فساداً وبالناس فتك ، وإن هو نقي من الأرض
المقدسة ذل وسلك ، لأنه فيها يظن أنه الشعب المختار وينظر إلى غيره
نظرة بغض واحتقار ، ويقترب إلى الله بزعمه بالقتل والدمار ، لأنه
مأمور بقتل الوثنين الأشرار ، وقد نسى أن غيره قد حمل راية التوحيد
وأن النصرانية قد نسخت دين اليهود ، وأن الإسلام قد جمع بين القديم
والجديد فلماذا يظل في أناية مثل الوليد ، ولكن لا يأخذك العجب إن
كتب عليه التشيريد ، فإيليس قديماً كان طاؤس ملائكة الرحمن ، فلما عصى
طرد من الجنان وأصبح طريد الرحمن عدو الإنسان ، ونسى العبادة
القديمة وسمى الشيطان ، وهكذا هذا الشعب تمرد على العصيان ، ولا يصلح
في أرض مقدسة كتب الله عليه فيها الحرام ، وطرده منها شر طردة
منذ عهد الرومان ، فقل لا ينجلتنا لماذا تقاومين إرادة الديان ومخالفين
التوراة والإنجيل والقرآن ، وتحمّعين شعباً كتب عليه الجolan ، لأنه
لا يصلح ملك في أي مكان ، فانظري الآن يا ينجلترا إلى هذا الإرهاب ،
وخذى كأساً مليئة بهذا الشراب ، وانظري كم قتلوا نفوساً بريئة بغير
حساب ، وكم نسفوا وكم غدروا بشباب ، واسألوا دولة الرومان عنهم فهـى
أدرى بالأسباب ، ألم تنصرهم على العرب أهل البلاد وتحمّعـهم ظليـماً في
أرض سموـها أرض المـيعـاد ، وماـهـى بأرضـهمـ منذ عـهـدـ الـاجـدادـ ، فـقـلـواـ
يا يـنجـلتـ ظـهـرـ المـجنـ ، كـاـكـانـواـ معـ نـاـصـرـهـ طـوـلـ الزـمـنـ ، فـكـمـ عـصـواـ اللهـ
بـالـفـتـنـ ، وـعـدـواـ العـجـلـ وـالـوثـنـ ، بـعـدـ أـنـ مـيـزـهـ بـمـنـ ، فـكـانـ جـزاـهـمـ

الطرد من الوطن ، وكتب عليهم الذلة والمسكنة والوهن ، ولا تحسين لهم
جميعاً يابنت التامين ، فقلب كل واحد منهم في إفريز يطلب الرئاسة وأن
يكون من نسل المسيح العزيز ، وهم يحسبونك أنك لهم دهليز ، ولم في
الدجال حلم لذيد ، فهل ترضيهم على حساب عيسى كلمة الله ، وتحولين
الأرض المقدسة إلى مأساة ، لم يرو لها التاريخ أى مثال وأشباه ، وتأتين
بالتدين الفاحش فاه ، ليكون مثلاً للإباحية والإرهاب والمعاداة ، حبأ في
تشييت قدمك على صفة القناة ، الأجل أنهم دلسو على الولايات المتحدة ،
وأنت على حفظ صداقها مجده ، تحولين الأرض المقدسة إلى نار متقدة ،
وأمم الإسلام لسياستك منتقدة ، وغداً تحل للمسيحيين العقدة ، وتقع
حرب مقدسة فيها فناء وشدة ، وتظهر الأرض من أدران الصهيونية
والإرهابيين ، وتصبح فلسطين للفلسطينيين والأماكن المقدسة في حرز
أمين ، يحميها العرب الوطنيون أمّا إلى فلسطين اليوم وقد تحولت إلى
مدبحه بشريه ، وتسمع كل يوم غارات إرهابية ، وأصبحت الأرض
المقدسة في ظل رعب وهمجية ، وتکاد تشبه ساحة معركة حرية ، تملأ
أرضها الدبابات والمدفعية ، وفيها ما فيها من القنابل اليدوية ، وهناك
تسمع عن ثلاث جماعات إرهابية ، بجماعة هاجانا ذات الآلاف العددية ،
وجماعة أرجون زفاي لومي ذات التشكيلات العسكرية ، وجماعة شتيرن
ذات الغارات الوحشية ، حتى أرهقو أعصاب الأمة الأنجلizية ، وهل
تسكت الأمة العربية ، فلا تخمي نفسها بجيوش فدائمة ، وقد تسرب
الإرهاب إلى الأقطار المجاورة ، وما قتل اللورد مورن إلا بنذر مجزرة ،
في أيها العالم الإسلامي والمسيحي حول هذا الإرهاب للصهيونيين مقبرة ،

كما فعل الرومان والعرب والسريان بجمعيات الإرهاب المعاشرة ، فما هذا الإرهاب إلا علامة على تشتيتهم من القدس والخليل والناصرة ، والتاريخ شاهد عدل على الإرهابية الفاجرة ، فيأيها الصهيونيون هذه كرة خاسرة روت روت أن الحكومة الفلسطينية وجهت إلى الوكالة اليهودية في ٢ فبراير سنة ١٩٤٧ « إن الحكومة حذرت مراجعاً زعماء الطائفة اليهودية من وقت طوبل من أخطار نمو حركة الإرهاب والعواقب الوخيمة التي ستتجزها في نهاية الأمر على الشعب اليهودي نفسه » .

وإنجلترا لم تستخدم ضد أساليب الإرهاب الصهيوني شيئاً من الأساليب العنيفة التي استخدمتها في قمع ثورة العرب في فلسطين ، حين دكوا عدداً من القرى العربية دكا سوها بال الأرض ، وأعدموا كثرين من العرب في ظل الأحكام العرفية وحالة الطوارئ أيام الحرب الأخيرة لمحض تهمة حل السلاح ، بل لقد أعدموا أعرابياً كان يملك سكيلتين قيل إنهما استخدما في قطع الأسلام التليفونية ، في حين أنهم وقفوا أمام الإرهاب الصهيوني مبهوتين حتى دخل الإرهاب في بلاد السكسونيين ، ولكن ليعلم العالم أنه لن يكسر شوكة الإرهابيين ، غير شبيهة المسلمين . « ولولا دفع الله الناس بعضهم بعضهم لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكرون فيها الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » .

التاريخ يعيد نفسه

طهر الكتاب الأبيض سنة ١٩٣٩ ، واعتبرته إنجلترا كقرار نهائى لحل قضية فلسطين ووافق عليه مجلس العموم البريطانى ، وفيه تحريم الهجرة إلى فلسطين بعد سنة ١٩٤٤ ، ووعد هذا الكتاب بإقامة دولة عربية مستقلة سنة ١٩٥٠ م وهكذا لم تفهم إنجلترا اللغة المطالب والشكایات وإنما خضعت لاتحاد العرب والجماعات ، وذعرت من هذه الثورات ، وفهمت أن الحق يحيط به قوات ، وقد رفض العرب الاعتراف بهذا الحل لأنهم يريدون الاستقلال توا ، ووقفت الهجرة فورا ، ولكنهم رأوا أن إنجلترا على شفا حرف ، وال Herb معلنة عليها من كل طرف فأي العرب إلا أن يقفوا بجانبها وقفه الشرف ، متحدين معا في الغاية والمهدف ، وقد كتمت إنجلترا الأفواه والصحف ، ونادت بأنها تحارب من أجل الشعوب الضعيفة ، وأنها بعد الحرب ستسلك السبيل الشريف وبأسلوب لبق ودعایات لطيفة ، أعلنت شروط الأطلنطي المشهورة ، وقامت العروبة لها بأعمال مشكورة وبسببيها خرجمت ألمانيا من الحرب مقهورة ، وفرحت إنجلترا بالنصر بعد أن كانت مذعورة ، وهل العرب جميعا وکروا أي تكبيرة ، وحسبوا أن استقلالهم أصبح قاب قوسين ، سيرد إليهم بالدولتين الديمقراطيتين ، فإذا بالاسطوانة تدار على الوجهين وإذا بالسياسة بعد كل حرب تعاد كرتين ، وهل يلدع المؤمن من جحر مرتين ؟

أما الصهيونيون في هذه الحرب فقد استغلواها ، وتظاهرروا للحلفاء

بالمساعدة فيها ، وأنشأوا اللواء اليهودي تمويها ، وباسمه نظموا الجماعات الإرهائية واستوردوا السلاح ، كما احتكروا السوق السوداء وأزهقو الأرواح ، وانخدعوا المال لأغراضهم الدينية كالمفتاح ، ولعبوا في أمريكا على الحبلين ، ليفوزوا بمناصرة الحرمين .

« وأخيراً ينكشف ضمير الولايات المتحدة الذي تعلقت به أنظار كثيرة في الشرق ، وحسبته شيئاً آخر غير الضمير الإنجليزي والضمير الفرنسي ، ولقد كان الكثيرون مخدوعين في هذا الضمير ، لأن الشرق لم يحتك طويلاً بأمريكا ، فلما بدا الاحتلال في مسألة فلسطين تكشف هذا الخداع عن ذلك الضمير المدخول الذي يقاوم بمصائر الشعوب وبحقوق بي الإنسان ليشتري بضعة أصوات في الانتخاب — إنهم جميعاً يصدرون عن مصدر واحد هو تلك الحضارة المادوية التي لا قلب لها ولا ضمير ، تلك الحضارة التي لا تسمع إلا صوت الآلات ولا تتحدث إلا بلسان التجارة ، ولا تنظر إلا بعين المرأة والتي تقيس الإنسانية كلها بهذه المقاييس .

والآن أيها الشرق ماذا تريد ؟ فإن كنت تبغى الخلاص من براثن الوحش الغربي ، فهناك طريق واحد لانتشعب فيه المسالك فهو أقرب طريق : اعرف نفسك وراجع قواك واستعد للصراع وابدأ في الكفاح ولا تستمع إلى صوت خادع يوسر لك بالثقة في ضمير الغرب المدخول . إنها الفرصة السانحة أيها الشرق للخلاص ، وانقض عنك رجال الماضي الضعفاء المنوهين ، وابرز بنفسك للميدان فقضايا الشعوب في هذه الأيام لا بد أن تعالجها الشعوب ، وما قضية فلسطين إلا قضية كل

شعب عربي بل كل شعب شرق ، إنما الصراع بين الشرق الناهض ،
والغرب المتواحش ، وبين شريعة الله للإنسان ، وشريعة الغاب
للحوش ^(١) .

الا ترى أن إنجلترا بعد انتصارها ، وقد رأت الإرهاب الصهيوني
جائماً لها ، وأمريكا تظهر للصهيونيين تعزيزها ، وأمام الإرهاب
ومجاملة إيمريكان ، رأت أن تنقض الكتاب الأبيض مع اعتقادها أنه
أفضل حل كان ، ولكن كيف تنقضه أليس بمئات وجان؟! وكان
الكتاب الأبيض ينص على وقف الهجرة سنة ١٩٤٥ ، فكيف تصرح
بهجرة جديدة للصهيونيين ؟ لم تجد أمامها غير تأليف لجنة جديدة من
الإنجليز والأمريكيين ، لتوحى إليها بما تريده في فلسطين ، وهكذا
ترجح السياحة البريطانية كل حين ، وتختبئ آمال العرب المُجاهدين ،
وتصبِّع كل جهودهم منذ ربع قرن بحرة قلم وسياسة المَيْن ، وترتبط فلسطين
بمشكلة اليهودية العالمية ، وترى أن تتخذها ملجاً للمشردين منهم في
الأراضي الأوروبية ، وهكذا تبرهن دائمًا على أن الكلام لقوى الخرية وأن
هناك مساومات بين إنجلترا وأمريكا على حساب الأرض الفلسطينية ،
وما هذه اللجان إلا قشرة يغلقون بها مرارة الواقع في البلاد العربية كما
يفعل بمحبوب الكثين ، صانعو الأدوية ، وسأتك المستر يتفن وزير
الخارجية يتحدث في مجلس العموم : « إن سير الحوادث دفع الحكومة
البريطانية إلى أن تقرر إحالة مسألة فلسطين إلى هيئة الأمم المتحدة . ومشكلة

(١) ص ١١٥٧ الرسالة العدد ٦٩٢ للأدب الكبير الأستاذ سيد قطب صاحب مجلة
العالم العربي .

فلسطين مشكلة معقدة للغاية ، وليس هناك من ينكر أن الانتداب يحوى
وعوداً متناقضة في أول الأمر وعد اليهود بوطن قومي ، ثم أعلن بأن
الواجب يقضي بحماية حقوق العرب ومركزهم في البلاد .

ولهذا كان الانتداب ينص على ما يعد من الوجهة الفعلية غزواً
للفلسطين بواسطة آلاف من المهاجرين ، ولكنه في الوقت نفسه نص
على أن الواجب يقضي بـ لا تحدث هذه الهجرة أى اضطراب للشعب
الذى يمتلك أرض فلسطين .

لذلك نشأ سؤال هام وهو : هل يمكن أن ينفذ الانتداب بدون
تصادم ؟ ، ورداً على هذا السؤال أقول : إن الحوادث التي وقعت في
الخمس والعشرين سنة الماضية أثبتت أنه أمر غير مستطاع إن كل
ما أريده هو تسوية هذه المشكلة لأنها من المشاكل القليلة في الشرق
الأوسط التي قد يؤدي عدم حلها إلى خلق اضطرابات واسعة النطاق ...
تدفعنا إلى الطريق الذى قد يؤدي بنا إلى خوض غمار حرب أخرى في
مدة لا تتجاوز ربع قرن .

ولهذا وصلنا محاولاتنا ، ولم يكن أملنا كبيراً ، وكان بين
الاقتراحات أن كل ما يتطلبه حل المشكلة هو استبعاد الكتاب الأبيض
واعتباره كأن لم يكن ، ولكن مثل هذا الاقتراح يثير مسألة خطيرة في
المسائل الدولية ، إن الدول العربية اعتبرت هذا الكتاب تعهدآ من
البرلمان البريطانى أخذنا على عاتقنا تنفيذه ، وإننا لو كنا منحنا اليهود
تعهدآ مماثلا لقال الأعضاء إن المجلس اتخذ قراراً بأغلبية الأصوات
ولهذا لا يمكن إلغاؤه

وقد أصبحت المسألة الآن مسألة تنفيذ كلمة سبق أن قطعتموها على أنفسكم ، ولهذا السبب قلت لمندوبي العرب إنه لابد من المفاوضة ، لإحداث تغيير في الحالة الراهنة في فلسطين !!! وسوف أواصل العمل بهذه السياسة ^(١) .

أرأيت أن الغرض الأساسي من تأليف لجنة التحقيق الإنجليزية الأمريكية في نوفمبر سنة ١٩٤٥ كان لمحو الكتاب الأبيض الذي يحرم المиграة في هذا الحين ، ولتعود من جديد إلى فكرة مشروع تقسيم فلسطين ، بعد أن قبر هذا المشروع الظالم بضع سنين ، وبعد أن أخذ العرب منه بالبين وقطعوا منه الوتين ولم يكن أحد منكم عنه حاجزين . ولكن لا تعجب بعد الحرب إن أرادت إنجلترا أن تخلفه من جديد فهو مشروع قدمه اليهود ، وبه تثبت إنجلترا أقدامها على الحدود ، وهذا ما تضمنه مشروع المستر موريسون زعيم مجلس العموم البريطاني وقدمه للجلاس في ٣١ يوليولو سنة ١٩٤٦ وأرادت إنجلترا أن تلعب لعبة جديدة فدعت العرب واليهود إلى مؤتمر لندن في سبتمبر سنة ١٩٤٦ ، ولبي العرب الطلب بعد أن قرروا الاستقلال لفلسطين الشقيقة ، ورفض مشروع التقسيم على أي طريقة وتأجل المؤتمر إلى يناير سنة ١٩٤٧ ، وكانت نتيجته الفشل المبين لأن العرب أصحاب فلسطين ومن ورائهم سائر الشعوب الإسلامية لا يرتضون تقسيم بلادهم وسيذلون آخر قطرة من دمائهم ليتحولوا دون تزييق البلاد المقدسة وإقامة دولة يهودية بأى جزء منها .

(١) المصري في ٢٦ / ٤٧ شلا عن روتر .

وبعد فقد رأت الجلالة عرض مشكلة فلسطين على هيئة الأمم المتحدة لعلها تظفر منها بتوصية جديدة أو توافق خلفها وترسم الخطة لها لتقسم فلسطين أو لتبتليها ، واتهن العرب الفرصة في إبريل سنة ١٩٤٧ وذهبوا إلى هيئة الأمم المتحدة وهم يحسبونها قد ألفت للعدالة والحرية ، ذهبوا إلى أمريكا في الدورة غير العادلة لهيئة الأمم ، وإذا بالافعى قد نفخت سموها وقامت الصحافة بدعائية مغرضة لها ، وما لتها الدول تخلصاً من شرها أو تقريراً إلى ذهبها ، وطالبت الوفود العربية هيئة الأمم أن تطبق نصوص ميثاقها فتعطى لفلسطين حريتها واستقلالها ولكن الهيئة ، وما هي إلا العصبة البائدة ، قررت لجنة تحقيق جديدة وجعلت لها من البرامج ما يتحقق لليهود رغباتهم ويضمن للاستعمار ثبات قدميه في الأرض المقدسة ، ونذهب لجنة التحقيق الدولية إلى فلسطين في ١٦ يونيو سنة ١٩٤٧ فيقاطعها عرب فلسطين ، لأن قضيتهم لا تحتاج إلى درس وتحقيق ، وقد اتختمت بسع عشرة لجنة وقد تعلموا أن كل تحقيق في القضية معناه التسويف والمراوغة والآن وبعد أن يفهمى الفصل من هذه الرواية التشيلية من تقرير اللجنة ، وانعقدت هيئة الأمم في سبتمبر سنة ١٩٤٧ ، فسيشهد العالم كفاحنا ضد الغاصب وضد اليهود وسنلقى بالصهيونية في البحر يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج .

الصهيونية

فتنة المسيح الدجال

وما كان النبي (ص) يأمر في كل صلاة بالاستعادة من فتنة المسيح الدجال ، إلا ليوقظ العالم الإسلامي بالغدو والآصال ويوجب عليه الجهاد والقتال ، في سبيل تطهير الأرض المقدسة من صهيونية الضلال .

قال الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجاشي : إن المسيح الدجال هو رجل يقوم من اليهود ويدعى أنه هو المسيح أى الملك الذي وعدوا به وهم يتظرون به إلى اليوم ذلك أن نظرت إلى اليهود فوجدتهم يتظرون مسيحيًا يعيد إليهم الملك والسلطان في الأرض ويعتزون به .

فليما جاءهم المسيح يشيد منهم عمالكة الأخلاق مكروابه وأرادوا قتله إذ هم قوم يُؤلهون الثروة والمال ، وظلوا على حاليهم يتظرون مسيحيًا ماليا إلى اليوم .

وها هم من عشرات السنين جادين في إيجاد وطن قومي لهم في فلسطين وظاهرونهم الحكومة الإنجليزية وليس بيعيد ذلك اليوم الذي يقوم فيه رجل منهم يدعى أنه مسيحهم أى ملكهم الذي وعدوا به على لسان بعض أنبيائهم .

ويقيموه ملكا في بلاد فلسطين وحينئذ تقع الفتنة ذلك أن اليهود لهم ماض أسود في القتال بينهم وبين مخالفتهم لا يترجون من الاستئصال والتسلل بأعدائهم تمثيلا تقشعر منه الأبدان^(١) .

(١) ص ٤٣ قصص الأنبياء .

وإن مطعم الصهيونية أن تعمل على إحياء مملكة يهودية قاعدتها فلسطين ورمزها إعادة بناء هيكل سليمان الذي لم يبق من آثاره غير جدار واحد يسمونه المبكى وهو من جدران المسجد الأقصى المبارك . فن واجب كل عرب في جميع الأقطار ، أن يدرك ما يحيط به وبأمته من أخطار ، وأن تذهب الشعوب المسلمة في كل الأمصار ، للقضاء على هذه الفتنة بالسيف البثار ، أجل إن العالم الإسلامي يحابه في فلسطين غزواً أدهى من الحروب الصليبية ، فهذا أوان الشدأيتها الأمة الحمدية وهذا يوم الجهاد أعلنه على رأس الصهيونية ، قبل أن يستفحـل الخطر على جميع الشعوب العربية والشرقية ، ويقول نورمان الصهيوني : « لا حاجة لأن تكون فلسطين المستقبل محدودة بحدودها التاريخية ، فـ إمكان المدينة اليهودية الامتداد على جميع البلاد التي وعدوا بها في التوراة من البحر الأبيض المتوسط حتى الفرات ومن لبنان حتى نهر مصر هذه هي البلاد التي أعطيت للشعب المختار »^(١) وهم يعتمدون على آية في سفر التكوانين « لسلوك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر العظيم الفرات ».

والعرب سلالة إسماعيل بـكر إبراهيم ، ومن نصر أو أسلم وظل في فلسطين من بـني إسرائيل فقد استعرب ، فهذا الـ وعد للعرب ، والـ الذى يسمع هذه الدعاية الرنانة العريضة ، يـخيل إليه أن يـهود أوربا وأـمريكا من نـسل إـبراهيم وـلم يـكونوا من أـهل فـلـسـطـين ، وكـيف يـحتـفـظـون بـأنـسـابـهم طـوال هـذـه القـرـون ، هـذـه سـخـافـاتـ وأـوهـامـ وـضـلالـ مـبـينـ .

قال العلامة ابن خلدون : أكثر ما رسم الوسواس في ذلك لبني إسرائيل ضربت عليهم الذلة والمسكنة ، وكتب عليهم الجلاء في الأرض وانفردوا بالاستعباد للكفر آلافا من السنين وما زال هذا الوسواس مصاحبًا لهم فتجدهم يقولون هذا هارونى هذا من سبط يهودا مع ذهاب العصبية ورسوخ الذل فيهم منذ أحقاب متطاولة ^(١) .

على أن اليهود قد ضاعت أنسابهم منذ الأسر الأولى وبعد ظهور المسيح عيسى لم تجده في كتب معتمدة نسبياً ويقول إسرائيل ولنفسون الواقع أن اليهود في دورهم الثاني لم يكونوا يعرفون بأنسابهم بل عرفوا كلهم بأسماء المدن والقرى والأقاليم التي جاءوا منها فكان يقال مثلاً فلان الأورشليمي والآخر الحبروني وهكذا ^(٢) .

ولا أذهب بك بعيداً فقد أثبت علماء الأجناس أن الصهيونيين وأكثريهم من يهود أو رباً ليسوا من أهل فلسطين ولا ينتهي إلى بني إسرائيل بأدنى صلة وأن اليهود في كل قطر يشبهون ذلك القطر ويمثلون في العالم سلالات وأجناساً مختلفة .

قال الدكتور محمد عوض محمد الأستاذ بجامعة فؤاد الأول :

« من أجل ذلك اتفق علماء الأجناس على أن اليهود ينتهيون إلى سلالات عديدة متنوعة وأن الدين اليهودي قد انتشر بين عدد عظيم من الشعوب ونحن ، في العالم العربي ، نعلم أن الزعم بأن الدين اليهودي كان مقصوراً على بني إسرائيل زعم ظاهر البطلان فقد انتشرت اليهودية في

(١) مقدمة ابن خلدون من ١٣٥ .

(٢) ص ١٥ تاريخ اليهود .

جهات مختلفة من الجزيرة العربية ، وانتشرت اليهودية في بلاد اليمن .
ويقول بتار أستاذ علم الأجناس في جامعة جنيفا ! إن جميع اليهود
بعيدون كل البعد عن الانتهاء إلى الجنس اليهودي القديم .

ويقول الأستاذ ريل الأمريكي في كتابه عن أجناس أوروبا
إن تسعة عشر يهود العالم يختلفون عن سلالة أجدادهم اختلافاً
واسعاً ، وصدق الأستاذ لما بروزو بأن اليهود الحديثين هم أدنى إلى الجنس
الآري منهم إلى الجنس السامي .

وهكذا يكون العلم قد فند الدعائية الصهيونية وفرض أركانها إذ ثبت
أن يهود أوروبا من أصل أوربي صيم وأن القول بأن اليهود شعب لا وطن له
حديث خرافه ، لأن اليهود يتضمنون إلى شعوب كثيرة ولهم أوطنان
عديدة ، وليسوا الحركة الصهيونية ، والحال هذه سوى حركة برادبها
استعمار قطر عربي بواسطة جماعات من السلاف والجرمان ، لا يتضمن ،
لام ولا أجدادهم ، إلى فلسطين بأدنى صلة ، وهي حركة تمثل أفعى أنواع
الاستعمار ، لأنها لا ترمي إلى مجرد الحكم والسيطرة السياسية ، بل إلى
احتلال البلاد بواسطة المهاجرين الغرباء ، وتمكينهم من رقاب سكانها
الشعيدين ، ومثل هذا الظلم الشنيع ليس له نظير في الميدان الاستعماري
كما على كثرة ما به من الفظائع ^(١) .

زد على هذا أن هذه الشرذمة الصهيونية تحاول إنشاء دولة يهودية
لها ملك رئيس توطئه للمسيح الملك كان المسيح لم يظهر ، وكان العالم
المسيحي المنتشر في المعمورة على دين مسيح كذاب وحاشا . فالمسيح
الذي ينتظرون هو الكاذب الدجال .

(١) علال بوليو سنة ٤٧ م ٢٩ .

وماذا يأتى يفعلون بالأراضى المقدسة ، وفيها المسجد الأقصى الذى لا يسلم فيه المسلمين إلا إذا لم يبق في الأرض مسلم واحد ، وفيها المقدسات المسيحية التي يحج إليها مسيحيو العالم ، إلا إن الحكومات المسيحية وهي لا دينية تموه على شعوبها ، ولكن غداً ينكشف الأمر إن ساعدوا التنين ، وقد قام العرب بحماية هذه المقدسات المسيحية طوال تاريخهم المجيد ، ممجدين لها لأنهم يؤمنون بال المسيح وينظرون إلى النصرانية نظرة الأخوة والمحبة ، وإن هدف الصهيونية الأولى القضاء على المسيحية والمسيحيين ، وإليك تتفاهم برناجمهم في كتابهم المنتشر أهداف الصهيونية : «إن الحكم الإرهابي يأتي بنتائج أفضل وأفيد مما يأتيه الحكم المبني على النقاش والجدل^(١) ..»

«في وسعى أن أزف إليكم بشري دون تamen الهدف المنشود ، فقليل من السير أيضاً ، وحلقة الأفعى الرمزية (شعار شعبنا) تُقفل ويعنى إيقافها تطويق جميع المالك الأوروبية^(٢) ..»

«ولكيلاً ندع فرصة للمسيحيين تتباه فيها أفكارهم يقتضى أن نشغلهم بالأعمال التجارية والصناعية ، فلا يلحظون تدبير عدوهم العام ، ويقتضى أيضاً لكي تقوى الحرية على تفككك أوصال الهيئات المسيحية أن تخذل المضاربات قاعدة للصناعة بحيث أن جميع الثروات تفر من حوزة أربابها إلى فوهة المضاربات فتبتلعها ، وما الفوهـة إلا خزانـنا^(٣) ..»

«والمسيحيون ليسوا إلا قطعاً من النعاج ، ونحن في نظرهم ذئاب ، ولا يخفىكم ماذا يحدث للحملان إذا ما دخلت الذئاب حظيرتها^(٤) ..»

(١) ص ١ . (٢) ص ٣ . (٣) ص ٢٤ . (٤) ص ٤٥ .

«وإن كنا تمكنا حتى الآن من التسلط على أفكار الهيئات المسيحية إلى حد أصبحت معه لا ترى الحوادث العالمية إلا من وراء المنظار الملون الذي نضعه على أعينها ، فما عساه يكون موقفنا عند ما نصبح أسياد العالم الشرعيين في شخص مليكنا العالمي^(١) ، لا يعني أن نعرف في ظل عهدها الجديد بوجود أي مذهب ديني خلاف دين إلهنا الواحد ، ولذلك يجب أن نهدم جميع المذاهب الدينية^(٢) .

«وعلى الملك (المسيح) الذي يحل محل الحكومات الحاضرة القائمة أن يعمل قبل كل شيء على إخماد اللهب الآكلة ، وذلك بإعدام أي مذنب ينتمي إلى إحدى الهيئات أو الجماعات السرية الثورية ، وهذا الشخص المصطفي من لدن الله هو الذي تكل إليه العزة الإلهية سحق القوات الحقيرة . «أما وإن دور الخلاص يبدأ مذ تسم الملك هذا العرش . فلن الصرورة حق هذه القوات ، وتنظيف الطريق أمامه من كافة العقبات^(٣) . فعلى عماد البشرية سيد المسكونة المنحدر من سلالة داود المقدسة أن يضحي في سبيل شعبه جميع أهواء الشخصية^(٤) .

هذه هي أفكارهم الخديئة عن المسيح الدجال ، لقد كانوا خطراً على أوربا ، فهل ينتقل الخطط إلى الأرض المقدسة ومنها إلى العالم ، إنها فتنة عالمية فليحضرها العالم أجمع ، وصلى الله على النبي الذي يبنها لنا منذ أربعة عشر قرناً .

(١) من ٥٨ . (٢) من ٦٨ . (٣) من ١١٥ . (٤) من ١١٨ .

الجهاد المقدس

إن مشكلة فلسطين ، هي قضية جميع المسلمين ، وهي قضية الساعة التي تملأ رءوس المجاهدين ، وقد أجمع العالم العربي على أنها أولى قضاياه لأن كل قضية لها وقت ولكن هذا السبيل المتدايق متى منتهاه — وكل يوم يمر تأتي هجرة صهيونية كالمياه — والزمن يا قوم لا يسمح بالتلاؤ فأعلنوها حرباً في سبيل الله ، وإن حل هذه القضية ينحصر في كلمتين : العمل المنظم بتضحيه وبذل ، والجهاد ما استطعتم ولو إلى القتل ، فعليك أن تضع ، يابن الإسلام — أنف المغتصب في الر GAMM بيذل ما تملك وحل الحسام ، والاستقلال لن يمنحك إيه الإنجليز والأمريكان ، ولن تضفيه عليك المفاوضات والمؤتمرات واللجان ، والعالم الإسلامي ، يا أخي ، متحفز اليوم للصراع ، والشرق كله متأهب للدفاع ، وإن العرب يأبون إلا استرجاع أملاكهم المغصوبة باصبارها وإحرارها حقوقهم المهدورة بمخالفتها وقد هم الذين الصهيوني ينقص الأرض المقدسة من أطراها ، كلا فالمسلم لن يرضى ذلا وهو يتلو في كتابه ما يجعله بكل جارحة رجلاً ولا يرضى بالاستقلال بدلاً ، وينفح فيه من روح الأنفة ما يصور الاستعباد كفراء ، ويلقى في روعه من حب الحرية ما يجعل الخنوع وزراً ، ويحتم عليه من الأخذ بأسباب القوة ما يرفعه قدرأ ، فلا الملحقات في الجو تقدر على كم الأفواه ولا الإرهابات الصهيونية تقوى على إطفاء نور الله ، وأول شرط للسلام الدولي استقلال العرب بفلسطين العربية ، فعلل هيئة الأمم بلجنتها القائمة الآن

في فلسطين لا تلبس الاعتداء حلة قانونية وتسوغ الاستعمار بغير
الاسماء الشكلية وكيف يغطي الحق بسفطة وهمية والحق أبلج ، وكيف
يستقيم الظل والعود أوج ، فهل شرق الأردن ، يسمح لدولة يهودية
بحواره تقطن وأين جيشه العربي المدرب ، وهل يرضى أمام الخطر
الصهيوني أن يتغرب ؟ ! وهل يرضى أن يضحكوا منه فيعطيوه قطعة
من فلسطين ، ثم إيه بعد ذلك ييلعون ؟ !

وأنت يا لبنان ، يا ذات الأرض والجنان ، هل تجاهدين في سبيل
استقلالك ، ثم ترضين للصهيونية باستغلالك ، وأنت لك مجدك وجهادك ؟
وسوري يا بنت العروبة ، أ فلا ترى فيها شبيهة قد رأوا في الجهاد
عذوبة ، وفلسطين لهم حبيرة ، وببلاد الحجاز واليمن ، أترضى بفلسطين
الفتن ، وهل يعيش العرب على وهن ، ذاك ما لا يعرفه الزمان وإن
لم تحموا بنتكم فلسطين فن ؟

وأنت يا مصر يا نهر العرب أتسلكتين على شر قد اقترب ،
والصهيونية استغلال وجرب فأى استقلال لك فيه عطب ، إن لم تكن
فلسطين للعرب ، فاقطعى من الصهيونية الرأس والذنب ، ولذلك ابن
النيل والزرع والذهب ففلسطين منك كالسودان والمصب .

وأنت يا بلاد العراق ، يا مهبط الحضارة العربية في الآفاق ،
كوني السابقة في حلبة السباق واقطعى من الصهيونية العنق والساقي ،
وطهرى الأرض المقدسة بسيفك المهراق .

وأنت يا بلاد المغرب ، يا ذات العمل المحرب في مناضلة المستعمر
لخرب ، إلى الجهاد إلى الجهاد المقرب .

وأنت يا أندونوسيا ، أيداس المسجد الأقصى ، وفيك الأرض
المقدسة الأمانى الكبرى !! .

وهل تسكت الباكستان ، على مسرى النبي العدنان ، لتحقق بريطانيا
والأمريكان ، لصهيونية الطغيان وفكرة الدجال ، فههنا الجهاد بإسلامستان
وأنت يا إيران وياتركية لم لا يتم كل منكم بهذه القضية ؟ أليس هذا
الخطر الصهيوني عليكما بلية ، وهل يحدث مع وجودكما أندلس ثانية ؟ ! .
وأنت أيها الشرق أليست فلسطين بوغاز طرتك ، وأن هزيمتها
عارض يلطخ وجهك ، ويهدم حاضرك ومستقبلك !! .

فإلى كل شيخ وشاب يحرى فيعروفة الدم الشرق وإلى العنصر
العربي الأبي ، وإلى من يمت إلى المسيح يائمان روحي لا استعاراتي ،
نوجه هذا النداء الحار الذى تغلى به قلوبنا وتردده نفوسنا أن خذوا
أهبتكم لواجهة هذا الطغيان الجارف الذى حل بفلسطين المجاهدة ،
وتنهوا إن وراء الصهيونية قوة تحركها وتدفعها .

وفلسطين ، ستهتز من أجلها عروش ، وتحرك لها جيوش ،
وستسجل بمداد الفخر والعزة صفحة من صفحات مجد العروبة وكرامة
العالم الإسلامي الشرقي وسيكون لها في سمع التاريخ زين قوى ، وفي
السماء للشهداء مكان قدسى « وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباك
وما جعل عليكم في الدين من حرج ، ملة أبیكم إبراهيم هو سماكم المسلمين
من قبل ، وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء
على الناس » ..

فيا هيئة الأمم تنهى خطأ قد ادّهم ، وبركان فيه نار وحم ، ومصالح

لأنكم في الشرق ستكون كالعدم ، إن كان عن الحق و تقرير المصير
صحيح يقول المستر كرميت روزفلت : « إن للعرب حقوقاً في فلسطين
وإن برنامج الصهيونيين يهدد هذه الحقوق ، وإن العرب سوف يقاتلون
ويموتون في سبيل حقوقهم .

إن مشكلة ، فلسطين المفجعة ، محجوبة في غالٍ من الوعود المتناقضة
ومما يؤسف له أن الذين بذلوا هذه الوعود لم يكن لهم حق أدبي أو حق
مستمد من الواقع في أن يبذلوها ولكن قفهم هذه المسألة على وجهها
فاجعل مثل البريطانيين والعرب ، مثل الأميركيين وأهل الفلبين
وافرض أن الولايات المتحدة قد تعهدت بأن تساعد أهل الفلبين على
بلغ الاستقلال الذاتي ، ثم انقلبت إلى شعب واقع تحت ظلم اليابان
كان منذ قرون كثيرة يسكن جزائر الفلبين وهو اليوم غريب عنها ،
ووادته بأن تتيح له أن ينشئ دولة في هذه الجزائر ، فأهل الفلبين لن
يسلما بحق الولايات المتحدة أن تقطع لذلك الشعب عهداً كهذا العهد
ويقاومون سعيها أشد مقاومة ولا ريب عندي أن الرأى العام الأميركي
سوف يؤيد them فيما يفعلون .

ومن أشق الأمور أن تجد ردآ على قول العربي حين يقول :
« إنكم أيها الأميركيون تتحدثون عن حماية حقوق الأقليات أفيعني
هذا أن لا كثريّة ينبغي أن تدارس وأن تجعل أقلية برغمها وفي
عقر دارها ! ! .

وتحذرون عن حق الشعوب في تقرير مصيرها وعن الانتخابات
الحرة وعن الديمقراطية ، فلم لا تدعون فلسطين تجرى انتخابات حرة
لتقرير مستقبلها على الطريقة الديمقراطية .

نعم إنه من العار أن تخنت بوعد قطعته ولكن أقبح منه أن تمضي مطبيق العين في تنفيذ وعد جائز وليس من العدل أن ترغم أكثر السكان في بلد ما على أن تقبل هجرة واسعة النطاق إلى بلدتها ترك الأكثريّة فيها أقلية^(١) .

والله لو نطق قادة المسلمين فيسائر الأقطار الإسلامية بالكلمة الأخيرة لا نفجر برkan العالم الإسلامي وملا الجو حما وكأن باللوردة كروم حيناً يتبنّى لأجلهنا بقوله : يجب أن تكون السياسة الاستعمارية قائمة على قواعد التبصر والحكمة ، صحيحة سليمة ممزوجة عن الشائبة والنقص هذا هو حجر الزاوية في بناء الامبراطورية إن المبرر الأكبر الاستعمار يجب أن يظهر جلياً في حسن التصرف بما في أيدي هذه الامبراطورية من القوى ، فإن استطعنا ذلك ، فكنا فيه من الحكماء ، وإن لم نستطعه فكنا فيه الجهلاء الأغبياء ، فقد استحقت الامبراطورية البريطانية الانهيار من عل ولسرعان ما تتناهى حلقاتها وتتبعد بعد الاجتماع^(٢) .

ومن أشد الدعایات الصهيونية تمويهاً ، زعمهم بأن الجامعة العربية خلقها اليد الاستعمارية ، لأغراض شخصية ، فليست ذات قوى فعلية ولا تساوى الوكالة اليهودية ، وهكذا من سفسطتهم الدجلية ... ألا فليعلموا أن الجامعة العربية ، قائمة منذ الرسالة الخمديّة وأن الأمة الإسلامية جسم واحد في الكورة الأرضية ، فالجامعة العربية صورة لاتحادها القومية ، وما هي إلا رمز للاتحاد ومن خلفها الشعوب بالمرصاد ، شعوب أبية تنفر من الاستبعاد فكيف تكون أدلة للانقياد .

(١) ص ٧٣ مختار ينابير سنة ١٩٤٧ مختصرة من مجلة هابر .

(٢) ص ١١ حاضر العالم الإسلامي .

قال الأستاذ لوثروب مستودراد الأمريكي : مما لا ريب فيه أن الحرب العامة قد هاجت الجامعة العربية هياجاً شديداً وبعثت فيها قوة كبيرة وقد غير الشعوب العربية المختلفة طوفان من الهايج والاضطراب وثارت تطلب الاستقلال متطلعة نحو إسقاط السيادة الأجنبية ومحوها تماماً ورداً على ذلك أن الجامعة العربية مشتبكة النسيج بمبدئين عاميين شاملين لا يختصان بعنصرية أو جنسية دون أخرى وهما مبدأ الجامعة الإسلامية ، وجامعة العصبيات الجنسية الإسلامية ، فوطن المسلم هو العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه والسبب في ذلك أن من منازع الإسلام على الدوام صيانة الوحدة بين المسلمين الوحدة الدينية والجغرافية الإقليمية ، بجميع الأقطار والهالك والبلدان الإسلامية معروفة عند المسلمين بدار الإسلام ، يجب عليهم باعتبارهم أمّة متحدة الذب عن سياجها والزياد عن حياضها وهذا هو السبب في أننا نرى أنه كلما أصاب اعتداءً أجنبي طرفًا من العالم الإسلامي هاج الطرف الآخر وأضطراب وقام وقعد على غير أن يكون هناك اشتراك في المصلحة المادية يحمله على ذلك ، كأنما المعمور الإسلامي جسم واحد باعتلال عضو منه تتأثر سائر الأعضاء^(١) .

فعلى الحكومات الجيوش المنظمة واليقظة لأسلوب السياسات ودفع أنها إلى الحياة والمصانع والمخترعات ، وفي الجامعة العربية لنا أمنيات وعلى رجالها تقع التبعات ، ومن ورائهم شعوب مجاهدة يقظة ، وعلى الهيئات والجمعيات تدريب التشكيلات ، وعلى الخطباء

(١) ص ١٥٤ ج ٢ حاضر العالم الإسلامي . ويريد بالحرب العامة الحرب العالمية الأولى .

والأئمة تهيئة روح الجماعات ، وعلى الجامعات والمدارس توجيه الناشئين
والناثرات ، وعلى رجالات العرب ولو في الحج تكوين المؤتمرات ،
وعلى زعمائنا توضيح المضادات ، وعلى الآذرياء تأسيس الشركات وعليها
تنفيذ المقاطعات وتبني كل القوات وعلى مملكة الصحافة رفع الأصوات
وعلى كتابنا توضيح الثقافات . . . فطوبى لمن جاهد حتى الممات
في سبيل الله ، فالجهاد بأشكاله هو العزة هو السعادة هو الحياة
إِنَّ اللَّهَ يُدَاخِفُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَانِ كُفُورٍ (٣٨)
أَذْنَنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَهْمُمْ ظُلْمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِ لَقَدِيرٌ (٣٩)
الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا
دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بِعَضَهُمْ بِعَضًا لَّهُدَمَتْ صَوَامِعٌ وَرَبِيعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ
يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا، وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوْيٌ
عَزِيزٌ (٤٠) .
(سورة الحج)

أيها العرب : يأبى الله إلا أن تكون فلسطين عربية ، ولن يستقر
السلام العالمي إلا أن تظل مركزاً للعروبة ، قضاء لا يحيص عنه من قبل
الله لا من عصبة الأمم سابقاً ، ولا من هيئة الأمم اليوم ، نعم لو اجتمع
العالم وقسموا فلسطين لينشئوا دولة يهودية في قلب العالم العربي ، لرأيت
سبعين مليوناً عربياً قد قاماً قوماً رجل واحد يلقون بالتنين الصهيوني
في البحر ويطردون الوحش الاستعماري إلى حيث لارجعة ، لأن وطنهم
العربي جسم واحد يأبون أن يبتز جزء منه في أى بقعة كانت : في المغرب ،
في السودان ، في فلسطين . . .

فأرض العرب لأهلها العرب !!!

وهل تظنن أن العالم الإسلامي ، يقف مكتوف الأيدي وأرضه المقدسة تؤخذ منه ، كلا فستجد الإسلام قد قام من أقصاه إلى أقصاه من أجل مسجده الأقصى ، وترى إنجلترا تريد أن تثبت أقدامها في الأرض المقدسة ، ومن أجل هذا تموه على العالم المسيحي بأنها ستظل رابضة في القدس وحواليه لتحافظ على المقدسات ، وهي مغالطة أشنع من وعد بلفور ، فماذا تفعل أمام إرهاب آخر من التنين الصهيوني في هذه البقعة المباركة افتراها خلقت إشكالاً جديداً ، أم يا ترى تحاول تقسيماً آخر ، أو تحول المقدسات إلى معسكر اضطراب وفتنة ؟ !!!
هذا وفي العالم المسيحي ، دول كبرى ذات مذاهب مسيحية متعددة فماذا لو قالت لها دولة أخرى نحن أولى بالمحافظة على المقدسات منك .
فهل تتشتب حرب يكون ضحيتها التراث المقدس ؟ !!!

فلن يستقر السلام العالمي إلا إذا ظلت الأرض المقدسة لأهلها العرب ، وكلمة الفصل لكم معاشر العرب ، لأن الأرض المقدسة أرضكم ، ولأن وطنكم العربي وحدة لا تتجزأ ، وهذه المقدسات خلقتم للمحافظة عليها ، وهي أمانة في عنقكم للعالم أجمع ، لن تبقى مزينة الدنيا إلا بأهلها العرب . هكذا قضى الله وهكذا حكم التاريخ .

والآن فهل ملوك الإسلام وأمراء العروبة وأثرياء الشرق العربي ، إلى أن يساهموا مساهمة عملية في (بنك إنقاذ الأرضي) الذي أنشأه الجامعة العربية ، وهو سيدر عليهم الرمح الطائل لأن الأرض المقدسة ذات ثمر طيب ، والله عنده حسن الثواب ، ولأن كل شبر يعطى

للصهيونيين هو جرح لا يندمل في كيان الوطن العربي .
أيها المسلمون حافظوا على الأرض المقدسة كما تحافظون على
صلواتكم التي أمركم النبي أن تختتموها « اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ فَتْنَةَ
الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ » .

ومسيح الدجال ، فكرة خيالية أساسها الوهم وعمادها الكذب
لأنها قائمة على الدجل والتضليل فالمسيح عيسى قد ظهر كما تؤمنون أنتم
وإخوانكم المسيحيون ، أما المسيح الذي تنتظره الصهيونية فهوهم وباطل
ينتظرون مسيحاً أى ملكاً لدولة يهودية ، كلا فلن تقوم دولة ، لأنها
لو قامت لكان معناها أن هذه الملائكة من المسيحيين يتبعون من ليس
مسيحاً عند الله ، وحاشا فالمسيح عيسى حق لا شك فيه ، ومسيح
الصهيونية التي تنتظره في شخص الدولة المزعومة ، باطل ودجل ، ولذلك سمي
الدجال أى من غير دولة وعلى الباطل والوهن يقوم كالزبد يذهب جفاء .
ولكنها فتنة لكم أى اختبار لجهادكم وامتحان لاتحادكم وعلامة على
إيمانكم بمطاردتها ، والاستعاذه التي يطلبها النبي منكم مجاهدتها ومقاطعتها
ومحاربتها حتى يقضي عليها « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين
كله لله » .

وإن رسول الله قد تنبأ لكم بالنصر ويعادة مجدهم الأول بل بهضة
شاملة ودعوة عامة عالمية حتى ترفرف الراية الإسلامية على العالم أجمع
« وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَهُمْ فِي

الْأَرْضِ كَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِيْسُمُ الَّذِي
ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا» (سورة النور)

أيها العرب إليكم خطاب حضرة صاحب السماحة الحاج أمين الحسيني
مفتي فلسطين الأكبر ، والزعيم الإسلامي العظيم ، المقيم اليوم في مصر
العربية وطنه الثاني بعد أن طارده السياسة البريطانية هذه السنين الطويلة !

وهذا الخطاب أرسله سماحته من مصر إلى المؤتمر الذي عقده زعماء
عرب فلسطين في حيفا في أوائل يوليو سنة ١٩٤٧ قال سماحته :
أيها الإخوان

لئن حالت يد الاستعمار الظالم ، العاتية علينا ، اللينة على أعدائنا ،
التي تحرم أبناء البلاد من الإقامة بربوعهم وديارهم وتطارد احرارهم كما
فعلت ولا تزال منذ عشر سنين متواالية ، بينما تفتح أبواب بلادنا على
مصالحها للغزاة المعتدلين ، والعترة المجرمين من الغرباء الصهيونيين ، تلك
اليد الأثيمة التي أعانت الظالم على ظلمه فسلطه الله عليها كما جاء في الحديث
الشريف لا تلبث أن تحطمها يد الله العادل القهار ، لأنه « ما من يد
إلا يد الله فوقها — ولا ظالم إلا سيبلي بأظلم » ولئن حلت هذه اليد
وإلى حين ، دون شهودي اجتمعكم هذا بشخصى ، فتقوا أن روحى معكم
وقلبي عندكم لا يشغلهما إلا ذكركم ولا يملؤهما إلا حبكم والعمل لما فيه
خيركم وسعادكم ، وحريتكم واستقلالكم .

أيها الإخوان :
إن من لا أرض له لا وطن له ، ومن لا وطن له لا كرامة له ، وقد

عقدتم اجتماعكم المشهود هذا لتأتمروا ببنكم بمعرف وانتظروا في اتخاذ
الوسائل الموصولة إلى مكافحة هذا الخطير الويل الذي يهدد سلامه الأمة
وكيان الوطن . وليس فيكم من لا يشعر بمبان الخطير الذى يتحقق بالقضية
الفلسطينية من استيلاء الأعداء على قسم من أرض الوطن . وأمل عظيم
في أنكم ستتعالجون بهذه المسألة بما هي جديرة به من عنانية وبما أنتم خليقون
به من صدق الوطنية وشريف الغاية وإنكم تشارطونى العزم والتصميم على
أن لا يتسرّب بعد الآن شبر واحد من أرض الوطن إلى الأعداء ، بل
يأنبغي العمل على استرداد ما تسرب منها إلى الأعداء وإلا كانت الأمة
بمجموعها مشتركة في الإثم والجرائم وحق عليها العذاب لأن مثل الذين
لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر مثل الذين يترفونه
(وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) . (ولتكن منكم
أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك
هم المفلحون) .

أما الأمر الثاني الذى تجتمعون من أجله وهو أيضاً عظيم الأهمية
جداً . فهو مقاطعة البضائع والمتاجر الصهيونية وكل من يساعد
الصهيونيين لأن في ذلك تقوية لهم علينا بأموالنا ومساعدة لهم على
غزوهم إيانا في عقر دارنا وتهديدكم لكيانا واستقلالنا . وعلينا في
في سبيل تنفيذ هذه الغاية أن نتقبل كل تصريحية مهما كانت وأن تحمل
ونتفتش ونصبر فإن الترف أمر مقوت ولا سيما في مثل هذه الحنة
الكبرى التي نحن مبتلون بها وعاملون على الخلاص منها .

وبعد أيها الإخوان !

إننا مصممون بكل ما فينا من قوة وعزيمة على الثبات إلى النهاية وعلى نيل النصر الحاسم في هذا الكفاح التاريخي مهما كانت الظروف . ولو عرف أعداؤنا مبلغ تصميمنا وعزيمتنا واستعدادنا لتحمل أعظم التضحيات في سبيل صيانة بلادنا ، لا نكفأوا من الآن راجعين على أعقابهم ، مقلعين عن محاولتهم الفاشلة الظالمة ، ولو فروا على أنفسهم علينا كثيراً من الويلات والنكبات . ولكن أعداءنا الذين يحدوهم الغرور ويدفعهم الطمع للاستخفاف بنا ، لن يلبشو إلا قليلاً حتى ينجلي لهم مبلغ ما هم عليه من غرور ومامه واقعون فيه من وهم ويوقنوا بأننا ندافع عن بلادنا أكثر مما دافع عنها آباؤنا في موافقهم التاريخية المشهورة وعندينا لا تلبيت هذه الظلمات والغيارب ان تنجاب عن سماء الوطن العزيز باندحار الصهيونية والاستعمار فان للباطل جولة ثم يضمحل والله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

حى على الجهاد

أيها العرب : أزفت ساعة الجهاد فطوبى لمن بذل نفسه وماهه ، وكل
قرش تبذله — يا ابن العرب — في إنقاذ أرضك المقدسة ستحصد اليوم
ثمرته ، من عزة قومية ، إلى ريح مادي « لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا
حَسَنَةً وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ » ، ثم في الآخرة — يا أخي — ستكون
« مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهِداءِ وَالصَّالِحِينَ
وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا » فلم لا تشارك في بنك الأمة العربية اليوم فتنتقد
المسجد الأقصى وتستثمر مالك ؟

وسأرك البطل المجاهد (سليم عبدالرحمن بك) مدير بنك الأمة
العربية ، الذي لم يعد إلا قريباً من المنفى في سبيل وطنه ، سأرك يتحدثك
عن هذا المشروع العظيم :

« منذ أكثر من ثلاثين سنة وعرب فلسطين يكافحون الصهيونية
ب مختلف الأساليب والطرق ، لقد بذل العرب الأموال والضحايا من
أجل حريةهم ، فما وهنت عنهم يوماً إلى أن أخذتهم الأمم العربية
وناصرتهم فأصبحت قضية فلسطين قضية العرب في مختلف أمصارهم ،
فاليهود الذين كانوا إلى سنوات مضت يهاجرون عرب فلسطين وحدهم ،
هاهم اليوم يهاجرون خمسين مليوناً من العرب ، لقد أرصدت الصهيونية
أموالاً ضخمة جداً للاستيلاء على الأراضي العربية ، ولكن العرب
استعدوا لمواجهة الخطر وهاهم اليوم أقوى من أي يوم آخر يشد أزرهم
إخوانهم في مختلف الأقطار العربية .

وذلك بأن يشتري كل عربي وعربية دونما واحداً بواسطة صندوق الأمة من أراضي فلسطين على أن يدفع الشارى مبلغاً من المال إلى صندوق الأمة لقاء وصل رسمي من بنك الأمة الذى يشتري هذه الدونمات ويسجلها على أصحاب الأموال المشترين ويعطى لكل فرد سنداً – ثم يدفع صندوق الأمة سنوياً أجور وحاصلات هذه الأرضى لاصحابها ، فيكون مشتري الدونم أو الدونمات بواسطة صندوق الأمة قد ضمن ماله بامتلاكه أرضاً في فلسطين وريع هذه الأرضى ، وضمن له إيراداً سنوياً ثابتًا .

وقد وضع كتاب رسمي باسم دفتر إنقاذ فلسطين يسجل فيه أسماء جميع المشترين وقد وافق سماحة المفدى على هذا المشروع بشراء عشرة دونمات بواسطة صندوق الأمة ودفع ٢٠٠ جنيه كاً أن عدداً من رجاليات فلسطين اكتبَّ في المشروع ... ولنا الثقة القوية بأن العرب في مختلف أمصارهم سيشدون أذرنا بتوسيع حلقات هذا المشروع المفيد فإذا نجح هذا المشروع تمكن العرب من مقاومة هذا التيار واحتفظوا ببلادهم وبعروبتها وقضوا تماماً على مطامع الصهيونيين وكل عربي يساهم في شراء دونم أو أكثر يكون قد ساهم فعلياً في إنقاذعروبة فلسطين ، هذا الجزء العزيز من الوطن العربي الكبير^(١) .

أيها العرب : لقد اقتحم الأجانب عرينتكم وكونوا شركات لشراء أرضكم في كل قطر وعادت عليهم بالربح الوفير ، فلماذا لا تتشجعون أنتم وتستثمرن أموالكم في أرضكم المقدسة وهي في محيطكم ؟ ! فهيا

إِلَى الرَّبِيعِ وَالْاسْتِهَارِ « وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبَرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى
الْإِثْمِ وَالْعُدُوانِ » .

أيها العرب : إن في تعاونكم واتحادكم قوة ترفعكم بين الأمم وتحفظ
التوازن العالمي وتحولكم نوراً يشع على الإنسانية — وأنتم قلب العالم
الإسلامى النابض — وكل عضو فيه يحس بإحساس أخيه ، واعتاصموا
بحبل الله جيئاً ولا تفرقوا واذ كُرُوا نعمة الله عَلَيْكُمْ اذ كُنْتُمْ
أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْرَاجًا » ، والعالم الإسلامي
وحدة لا تتجزأ ، ولن يسمح بعد اليوم أن ينقص طرف منه فلن يرضى
أن ينفصل التوأمان : مصر عن السودان ، ولا أن ينفك استقلال أندونيسيا
أو يحد من حرية الباكستان ، أو يظل المغرب العربي يتذوق الطغيان ،
أو تغتصب الأرض المقدسة مسرى النبي العدنان ، بل إن أى جزء من
العالم الإسلامي تلعب به سياسة الاستعمار أو تحاول أن تبتلعه فإن المسلمين
في أقطار الأرض سيأخذون على يديه حرصاً على وحدتهم ومحافظة
عليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مثل المؤمنين كأهل
سفينة اقتسموها بينهم فقال أحدهم : هذا ملكي أفعل به ما أشاء ، فإن
تركوه يخرقه لعرق وغرقوا ، وإن أخذوا على يديه لنجا ونجوا » .

أيها العالم الإسلامي ، أيها العالم العربي :

اليوم — يوم البذل والكافح وله ما بعده ، فضع — يا أخي — لبنة
في بناء مجده ، لتكتب لك العزة في الدنيا ، ولتفرح في السماء « ومن يوق
شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

فِي عَلَى الْجَهَادِ ، حِلَّ عَلَى الْجَهَادِ : « وَجَاهُدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ
هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ، مِلَّةً أَيْسَكُمْ
إِبْرَاهِيمَ ، هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلٍ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ
شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شَهِداءً عَلَى النَّاسِ ، فَأَقِمُوا الصَّلَاةَ
وَآتُوا الزَّكَاةَ ، وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَانَا كُمْ فِيْعَمَ الْمَوْلَى وَنَعْمَ
النَّصِيرُ » .
(سورة الحج)



المصادر

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - البخاري .
- ٣ - العهد القديم والعهد الجديد والتلمود .
- ٤ - تاريخ اليهود في جزيرة العرب للدكتور إسرائيل وفلسون .
- ٥ - تاريخ يوسيفوس اليهودي .
- ٦ - تاريخ العرب في الجاهلية لجورجى زيدان .
- ٧ - مقدمة ابن خلدون .
- ٨ - الشهادات السياسية أمام اللجنة الملكية في فلسطين سنة ١٩٣٦ .
- ٩ - تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة للأستاذ عبدالله عذان .
- ١٠ - حاضر العالم الإسلامي للأستاذ مستودار الأمربيك .
- ١١ - أهداف الصهيونية .
- ١٢ - اليقظة القومية عند العرب للأستاذ محمد سعيد ،

الفهرست

صفحة	الموضوع
٣	القديمة ...
٧	ابراهيم الخليل
١١	فلسطين والتاريخ
١٨	إلى بابل ...
٢٠	في انتظار المسيح
٢٦	تشتت اليهود
٣٢	فلسطين العربية
٣٧	فلسطين للعرب
٤٦	أسطورة الصهيونية أو المسيح المتظر
٥١	الصهيونية
٥٥	وعد بلفور
٥٨	فلسطين تكافع
٦٢	ثورة سنة ١٩٣٦
٧٣	الثورة وال الحرب العالمية الثانية
٧٨	الإرهاب الصهيوني
٨٢	التاريخ يعيد نفسه
٨٨	الصهيونية فتنه المسيح الدجال
٩٤	الجهاد المقدس
١٠٦	حي على الجهاد

للمؤلف

كتاب خاتم النبيين مطبوع

وتحت الطبع

- ١ — تاريخ الأنبياء.
- ٢ — الإسلامية الدولية.
- ٣ — الجامعة الإسلامية وجامعة العصيان الحبشية والجامعة العربية.
- ٤ — نظام الحكومة الإسلامية.

مروحة :

إن عن لك شيء في هذا الكتاب فاكتبه إلى المؤلف بالمنصورة
«شباك البريد» .

956.9
J42fA
C.1